


مضاد حيوي لليأس

قصص نجاح سعودية

عبدالله المغلوث



مضاد حيوي لليأس

قصص نجاح سعودية



تأليف

عبدالله المغلوث



مضاد حيوي لليأس

قصص نجاح سعودية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المغلوث، عبدالله أحمد
مضاد حيوي لليأس قصص نجاح سعودية./ عبدالله أحمد المغلوث
. - الرياض، ١٤٣٢هـ
١٤٤ ص؛ ١٤ × ٢١سم
ردمك: ٣-١٠٧-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- رجال الأعمال - السعودية. ١- السعودية - تراجم
أ- العنوان
ديوي ٣٥١، ٩٢٣ ١٤٣٢/١٤٥٥

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٤٥٥
ردمك: ٣-١٠٧-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

مقدمة الكتاب

قررت جمع هذه السطور بين دفتي كتاب بعد أن شعرت بحاجتنا الماسة إلى قصص نجاح محفزة وملهمة. إلى أمثلة معاصرة نقتفي أثرها. فمن يتصفح رفوف مكتباتنا العربية سيجد الكثير من قصص النجاح المستوردة، التي نبتت في بيئة غير بيئتنا. في محيط غير محيطنا، مما يقلل من حجم تأثيرها وفعاليتها. فرأيت أن أضع هذه الوجوه السعودية المتميزة بين أيديكم لعلها تسهم ولو بقدر طفيف في شحذ الهمم وتعزيز الثقة في دواخلنا. فالناجحون الذين قطفتهم من أنحاء وطننا الغالي لم يترعرعوا في بوسطن الأمريكية أو طوكيو اليابانية أو أمستردام الهولندية، بل نشأوا في المملكة، وحققوا نجاحات مختلفة ومتفاوتة. درسوا في فصولنا نفسها.

عاشوا في منازل تشبه منازلنا. لكنهم امتطوا أحلامهم دون أن تخدرهم الإحباطات وتثبط عزائمهم الكلمات، متسلحين بالطموح والإرادة، متيمنين بقول الشاعر ابن هانئ:

ولَـمْ أَجِـدِ الإِنْـسـانَ إلاَّ ابْـنَ سَعْيِهِ

فَمَنْ كانَ أَسْعَى كانَ بِالمَجْدِ أَجدَرَا

وبِـالـهِـمَّـةِ الـعَـلْـيـاءِ يَـرْقَـى إلـى الـعُـلَـى

فَـمَـنْ كـانِ أَرقَــى هِـمَّـةً كـانَ أَظْـهَـرَا

على الصعيد الشخصي، تأثرت بالكثير ممن التقيتهم وكتبت عنهم في هذا الكتاب. كأم عبد الهادي المري، الفرّاشة في الابتدائية الرابعة عشرة في الجيبل، التي تدرس حاليا في كلية التربية في الخفجي، وهي في الستين من عمرها، التي تكنس الفصول بيد وتكنس جهلها باليد الأخرى، مواصلة تعليمها في ظروف صعبة ووسط ١١ ابناً وابنة، تعتني بتربيتهم وشؤونهم. تأثرت جدا بكفاح صديقي سنوي شراحيلي، من ذوي الاحتياجات الخاصة، الذي كان يذهب لمدرسته في قرية الخقاقة التابعة لمحافظة الحرث في منطقة جازان، التي تبعد عن منزله نحو كيلومتر ونصف، حبوا لعدم قدرة والده على توفير كرسي متحرك له وقتئذ، بينما الآن يركض نحو تحقيق

حلمه بالحصول على درجة الدكتوراه في إدارة المنازعات الدولية في بريطانيا.

أسرني إصرار إبراهيم المعجل على الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ستانفورد، إحدى أهم الجامعات العالمية، رغم كل الصعوبات التي واجهته. استفزني ذكاء عادل الطريفي، الذي حوّل حادث السير الأليم الذي تعرض له إلى دافع للتحليق عاليا؛ حيث أصبح حاليا رئيسا لتحرير مجلة المجلة وباحثا مرموقا في جامعة لندن.

أدهشني بتال القوس الذي استطاع أن يحفر الصخر ليصبح أحد أكثر المذيعين السعوديين أجرا جراء كفاحه وموهبته.

أبهرني فهد الأحمدي بقدرته على تحويل كلمات صغيرة سمعها في بوفيه صغير إلى وقود للنجاح العارم بعد أن أخفق في متابعة دراسته.

أنا على يقين تام بأن هذه الوجوه ستملؤكم زهوا وحماسة كما ملأتني. وستطرد يأسكم وستجعلكم تلاحقون أحلامكم وتحتفلون بإنجازاتكم.

إبراهيم أبو ساق...بائع البيتزا الذي أصبح محاضرا

منذ أن وطئت قدماي مانشستر البريطانية واسمه يتردد على مسامعي. فلا يخلو أي لقاء مع سعودي دون الإشارة إليه تصريحا أوتلميحا. يتحدثون عنه بزهو لا مثيل له. فهو أستاذ في جامعة مانشستر، التي حصل ٢٥ من أعضاء هيئة تدريسها وطلابها على جائزة نوبل. وشخص نذر نفسه لخدمة أي طالب سعودي يدلف إلى مكتبه أو يبعث برسالة إلى إيميله. أحبه أبناء جلدته ليس لكونه متجاوبا معهم فحسب، بل لكونه مبادرا لكل ما من شأنه تنميتهم.

أقام العديد من الندوات للسعوديين بمجهود شخصي. دعا زملاءه البريطانيين لإلقاء محاضرات على الطلبة في مجال النشر العلمي وأساليب البحث. استفاد من محاضراته المئات.

بذل الكثير في الظل دون أن يتسول اهتماما إعلاميا أو تغطية صحفية. لم يبحث عن مجد شخصي بل عن نجاح يحققه مواطنوه في مشوارهم العلمي.

الدكتور إبراهيم شرفي أبو ساق شخصية استثنائية في عطائها وعصاميتها. شخصية تأسر من يتابعها إثر ما تقدمه لوطنها بسخاء.

أبو ساق الحاصل على الدكتوراه من جامعة نتونجهام. بدأ دراسته العليا في التسعينيات دون منحة تعليمية، معتمدا على دعم والده وإخوته. عمل بائعا في مطعم (بيتزا هت) لتغطية مصاريفه الدراسية وتكاليف المعيشة. ثم عمل في مكاتب استشارية متعددة بأجر زهيد بحثا عن خبرة يضيفها إلى رصيده العلمي. بعد حصوله على الدكتوراه تلقى عرضا للتدريس في الجامعة التي تخرج وتدرب فيها. استمر فيها فترة غير قصيرة ثم انتقل لجامعة (هل) حتى استقر به الحال في جامعة مانشستر.

يمتاز الدكتور إبراهيم بجلده البحثي. فلديه العديد من المقالات العلمية المنشورة والكتب. شارك في الكثير من المؤتمرات والملتقيات الدولية متحدثا رئيسا.

والجميل أن النجراني النبيل مازال يسكن روحه دون أن تذره رياح الغربة. ففي حديثه تشتم رائحة (المرضوفة)، و(الحميسة)، و(العصيدة). في حين ابتسامته تنقلك في رحلة مباشرة إلى صاغر وحبونا. يتذكر الصحفي النابه، مسلي آل معمر، لقاءه الأول بالدكتور إبراهيم الصيف الماضي في شمال إنجلترا قائلا: «خنقتني العبرة عندما ودعته. كان كريما أكثر مما ينبغي».

لم يكن مسلي وحده الذي خرج بهذا الانطباع. أنا غادرته نادما؛ لأنني لم أحضنه وأسجل امتناني له كما يجب. فقد سحرني تواضعه وانضباطه. كان موعدنا الساعة الثانية عشرة ظهرا. جاء في الموعد تماما. لم يتقدم ولم يتأخر. وصل حاملا ابتسامة عريضة. كان حديثه منظما متدفقا كأنه يقرأ من ورقة. انتهى الوقت لكن لم ينته حديثنا الذي أداره بجدية البريطانيين وحميمية السعوديين.

يقول الطالب الأسكتلندي، ديفيد بيرد، الذي درسه أبو ساق قبل أشهر عدة في صفحته بتويتر: «السيد أبو ساق من المحاضرين الممتعين. تنتهي محاضرته بسرعة وتتمنى ألا تنتهي».

تجربة أبو ساق المثيرة والناجحة في التدريس في أحد أهم الصروح العلمية البريطانية تؤكد حقيقة أنه لا مستحيل أمام من يأمل ويعمل. لا مستحيل أمام المثابرة والمحاولة. فها هو أحد أبناء وطننا يأتي إلى المملكة المتحدة طالبا، ولا يلبث أن يصبح فيها أستاذا ومحاضرا يشار إليه بالبنان.

لدينا الكثير من المدهشين في مجالات متفرقة. لكننا لا ننتبه لهم سهوا تارة وعمدا تارة أخرى.

مشكلتنا الكبيرة أننا نصفق كثيرا للاعبي كرة القدم، وننسى أن نصفق ولو قليلا للعلماء والباحثين، ثم نتساءل: لِمَ نحن متخلفون عن ركب الحضارة؟

نشر في يوم السبت ١٥ ذو القعدة ١٤٣١ الموافق ٢٣ أكتوبر ٢٠١٠

إبراهيم المعجل...غير قابل للكسر

حينما تشاهد لاعبا غضا بارعا سترشحه للعب دوليا، أما عندما تستمع إلى إبراهيم سعد المعجل (٢٨ عاما) فستجزم بأنه سيكون وزيراً أو باحثا فذاً.

المعجل الذي سيحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ستانفورد العريقة الشهر المقبل، إن شاء الله، في علوم وهندسة الإدارة، شاب بإمكانات استثنائية. يسحرك بذكائه، وإمكاناته، ولين عريكته. يذهب عنك، لكن صوته يعلق في رأسك، وابتسامته في عينيك.

يصفه زميله المهندس فالح السبيعي، الذي يتابع دراسته العليا في جلاسكو: «لم أشاهد إبراهيم قط بحاجبين معقودين، أو جبين مقطب. مشع، ومبتهج، ومتقد على الدوام».

شخصيا، كنت أتواصل هاتفيا بكثافة مع إبراهيم في أثناء إعداده أطروحة الدكتوراه، وكنت أخشى أن أجده متوترا أو قلقا أو ضجرا، لكن كل مرة أجده مبتهجا. أغرف التفاؤل من حديثه وأدفنه في جوفي، كأنه ينصحني على طريقة إيليا أبو ماضي عندما صدح قائلا:

أيُّها العابسُ لن تُعطَى على التقطيبِ أُجْرَهْ

لا تكنْ مُرًّا، ولا تجعَلْ حياةَ الغيرِ مُرَّهْ

إنَّ من يبكي لهُ حَوْلٌ على الضحكِ وقُدْرَهْ

فتَهَلَّلْ وتَرَنَّمْ، فالفتى العابسُ صَخْرَهْ

تفرد إبراهيم ليس في ابتسامته وسلوكه الاجتماعي الزكي الذي يستنشقه القريب والبعيد، بل في تفوقه المذهل الذي يجعلنا نفتح أفواهنا مع كل إنجاز يحققه مرددين: «ما شاء الله».

حاز إبراهيم (ميدالية المؤسس) من كلية الهندسة في جامعة فاندربيلت في ناشفيل بولاية تنيسي الأمريكية، بعدما تخرج بمعدل ٤ من ٤، أولا على دفعته. وقد كرمته الجامعة، التي تأسست عام ١٨٧٣، ويدرس فيها نحو ١١٨٠٠ طالب من أكثر من ٩٠ دولة في العالم، في حفل عارم جراء تفوقه الكبير ومساهماته اللافتة في مراكز أبحاث الجامعة وجمعياتها الاجتماعية.

فإبراهيم من مؤسسي جمعية الطلاب الشرق أوسطيين في الجامعة بالإضافة إلى جمعية الطلاب المسلمين، كما نظم العديد من المؤتمرات والفعاليات في داخل ناشفيل وخارجها.

تفوق إبراهيم في الجامعة لم يأت من فراغ، بل نتيجة تراكمات. فقد كان الأول على المملكة في الثانوية العامة عام ١٩٩٧ بمعدل ١٠٠٪. وكان أول سعودي يحرز هذه النسبة الكاملة في التخصص العلمي. وكان في القاهرة مع ابني عمه: مروان وعبدالعزيز عندما تلقى نبأ حصوله على المركز الأول في الثانوية العامة. يتذكر: «هاتفتني خالتي في الفندق مهنئة. قفزت على السرير من شدة الفرح. ثم صليت ركعتين شكرا وامتنانا».

لم يكن هاجس إبراهيم، وقتئذ، الحصول على المركز الأول بقدر مواصلة تفوقه والأخذ بنصيحة والده، نائب رئيس مجلس إدارة غرفة الرياض ورجل الأعمال المعروف، الذي كان يقول له مع نهاية كل عام دراسي: «مبروك، لكن ننتظر منك المزيد».

وقد التحق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن فور تخرجه، لكن سرعان ما غير بوصلته باتجاه أرامكو السعودية بهدف الابتعاث والدراسة في الولايات المتحدة. وأكثر ما أحزن إبراهيم، آنذاك، عدم قبوله في جامعة ستانفورد؛ لأنه لم

يكن يعلم متطلباتها. يقول: «أغلب طلاب العالم، تتم تهيئتهم قبل التخرج من الثانوية، لكن مع الأسف لا توجد لدينا برامج في مدارسنا ترشد الطلاب وتوجههم، ما يجعلنا تائهين إلى سنوات متقدمة في تحصيلنا العلمي».

التحق بجامعة فاندربيلت، لكن كان يفكر في متابعة دراسته العليا في ستانفورد. فهو شغوف بالانضمام إليها نظرا لسجلها الحافل. فقد حصل ١٨ من طلاب ستانفورد على جائزة نوبل إثر انتقائيتها في اختيار منسوبيها وبرامجها المكثفة والمتميزة في مجالات إدارة الأعمال، والطب، والهندسة. وقد أسس الكثير من طلابها مؤسسات تقنية ذائعة الصيت مثل: إتش بي، صن مايكروسيستمز، وياهو، وجوجل. وتتربع الجامعة التي تأسست عام ١٨٨٥ في كاليفورنيا، على صدارة التصنيفات العالمية في تخصصات عدة.

وتحقق لإبراهيم ما أراد عندما حصل على قبول متابعة دراسته العليا فيها بعد أن أمضى عامين فقط في دراسة البكالوريوس. فقد اجتاز بتفوق الاختبارات التمهيدية للماجستير مثل (الجي آر إي). كما حصل على دعم أساتذته وزملائه. ويؤمن إبراهيم بأن المرء إذا أراد شيئا سيحققه بالتصميم والإرادة. فهو غير قابل للكسر. ويمقت الاستسلام

والسكون متسلحا بالبيت الشهير: إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة.... فإن فساد الرأي أن تترددا.

ولا يفتقد إبراهيم في أمريكا سوى أمه، هالة المعجل، الحاصلة على الماجستير في الإحصاء، والمحاضرة في الأساليب الكمية. يقول: «ورثت منها جديتها وانضباطها وولعها بالأرقام. أتوق دائما أن أقبل جبينها».

وقد حصل إبراهيم على الماجستير في الهندسة الكهربائية من ستانفورد بامتياز مع مرتبة الشرف بمعدل ٣,٩٥ من ٤.

ويمضي إبراهيم، الذي رزق حديثا بابنه البكر سعد وسيتوج مسيرته العلمية قريبا بالدكتوراه، جُلّ وقته في مختبرات جامعة ستانفورد برفقة أستاذه البروفيسور رون هاورد(٧٥ عاما). يقول إبراهيم: «الحديث مع الدكتور هاورد كالسباحة لا يمكن أن يكتمل يومي من دونها». فقد تعلم من أستاذه الكثير من التقنيات البحثية والمعرفية. ويحلم إبراهيم بأن يصبح مثل معلمه الناجح أكاديميا، وبحثيا، وتجاريا. فرغم أن هاورد يحصل على ملايين الدولارات من الشركات العديدة التي يعمل مستشارا لها، إلا أنه لم يتوقف يوما عن التدريس ونقل خبراته لطلابه «لإكمال النهضة العلمية» على حد تعبيره.

إبراهيم مهتم بالاقتصاد المعرفي وتدريب الناشئة وتوجيههم. يقرأه رفيق فصله السابق إيد نييل: «تلمع أسنان إبراهيم ويسطع فكره كلما تحدث. أثق بأنه سيكون باحثا مرموقا وشيكا، أو مسؤولا رفيعا».

سيكون إبراهيم كذلك أو أكثر قليلا. وسينضم إلى قائمتنا الذهبية من المبدعين التي لا يخلو أي مجلس من حضورها تصريحا وتلميحا كالدكتور عبدالله الربيعة، والدكتور غازي القصيبي، والدكتور سلمان العودة.

هنيئا لنا بإبراهيم. هنيئا لنا بمن لا يستكينون ولا ينكسرون.

* نشر في يوم الجمعة ١٢ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٩م.

أكرم العلي.. بطل بلا وسام

أكرم خليل إبراهيم عيد العلي (٢٦ عاما) هو شخصية عام ٢٠٠٩ في الإرادة والعزيمة بلا منازع.

فأكرم الذي تعرض لشلل رباعي خلال مشاركته في الملتقى الخليجي الأول للمغامرة والتحدي قبل عامين في دولة الكويت كقائد للمنتخب السعودي مازال مملوءا بالأمل والطموح رغم إصابته الجسيمة. فقد أقام خلال العام الماضي وحده أربعة معارض تشكيلية، وشارك في معسكرات كشفية متعددة، ومحاضرات تثقيفية، وندوات رياضية.

لم ينكفئ ويتقوقع العلي في منزله بعد الإصابة بل واصل شغفه بالعمل التطوعي بالحماسة والإصرار نفسيهما. يسافر من موقع لآخر في الرياض والجوف، ممتطيا كرسيه المتحرك،

ومستعينا بصديقه اللوح الخشبي الذي يرافقه كظله. يبسطه عندما يريد أن يصعد رصيفا أو درجا قصيرا في ظل غياب المرافق المهيأة لاستقبال ذوي الاحتياجات الخاصة.

هناك ألف سبب قد يمنع أكرم من العمل وملاحقة الأمل، لكن إرادته جعلته يواصل ركضه ولو على كرسي. فقد أصر على العودة إلى وظيفته ابتداء من اليوم كقائد كشفي في إدارة تعليم البنين في منطقة الجوف. فسعادته لم تكتمل حتى صدرت الموافقة على إلحاحه على العودة لحقل التعليم من جديد بعد أن كان مدرسا للحاسب الآلي قبل الحادثة.

وترتفع معنويات أكرم كلما طالع قمراً. فأكثرنا يملك قمرا واحدا لكن هو لديه قمران. قمر يرقد في أحضان السماء، وآخر في الأرض وهي ابنته التي لم تكمل السنوات الثلاث، فرؤيته لها وهي تلمع أمامه «أكبر حافز للأمل والعطاء». ولا ينسى العلي زوجته التي يصفها بـ «الوفية». فهو يدرك أن بعض الزوجات قد تغادر زوجها عندما يتعرض لحادث مروع، بيد أنها لم تفعل، بل ظلت ترعاه وتدفعه بيديها الحنونتين، دون أن يلتقط نظرة شفقة أو عطف سقطت سهوا من وجهها. يسألني «أيوجد أعظم من هذه النعمة؟».

بيد أن أكثر ما يؤلم أكرم هو عدم حصوله على إعانة الإعاقة الشهرية من الشؤون الاجتماعية بذريعة أنه موظف، مؤكدا أن هذا القرار يؤدي إلى عزوف ذوي الاحتياجات الخاصة عن العمل، ويعزز عزلتهم وانطواءهم، ويطالب الوزارة بإعادة النظر في القرار.

وأكرم الذي أصيب في مهمة وطنية مازال يأمل في أن تُصرف له سيارة خاصة تقله من منزله إلى مقر عمله ونادي العروبة الذي يزاول فيه نشاطه الكشفي والتثقيفي. يقول: «سعر السيارة الخاصة يتجاوز ١٢٩ ألف ريال. إنه مبلغ كبير لا أستطيع أن أتكبده. راتبي ضعيف ومصروفاتي الطبية والشخصية مرهقة».

في ٢٧ مايو عام ١٩٩٥، تعاطف العالم بأسره مع سوبرمان، الممثل الأمريكي الراحل كريستوفر ريفي، الذي جسد شخصية الرجل الخارق على الشاشة الكبيرة، بعد أن سقط من على ظهر حصانه في فرجينيا ما أدى إلى شلله. فظلت وسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية ترافقه طوال حياته كظله في حله وترحاله مساندة وداعمة، في حين يرافق سوبرماننا، أكرم العلي لوح خشبي يثير الأسئلة والحزن معا. فمتى نتحرك ونستبدل بهذا اللوح برنامجاً يكفل حياة كريمة للعلي وغيره من

أبطالنا الذين أصيبوا وهم يؤدون واجبهم تجاه وطنهم دون أن يناشدوا ويبرقوا؟ متى نكرمهم على رؤوس الأشهاد جراء عطائهم وتضحياتهم؟

إن أمثال أكرم كثيرون، لكنهم يختبئون في المنازل، عفوا يموتون في المنازل، واحدا تلو الآخر. فلنمض إلى تكريمهم وتقديرهم، قبل أن تغيب ابتسامتهم، تغيب إلى الأبد.

نشر في يوم السبت ١٦ محرم ١٤٣١.٢ يناير ٢٠١٠

أم عبد الهادي.. فرّاشة بدرجة البكالوريوس!

أم عبد الهادي المري، التي تعمل فرّاشة في الابتدائية الرابعة عشرة في الجبيل، تستحق أغلى الأوسمة. ليس لكونها حصلت قبل شهور قليلة على شهادة الثانوية العامة وهي على أبواب الستين، وليس لأنها التحقت أخيراً بكلية التربية للبنات في الخفجي للحصول على شهادة البكالوريوس في تخصص اللغة العربية، بل لأنها أم عظيمة، أنجبت ١١ ابنا وابنة وأحسنت تربيتهم في ظروف صعبة ووسط مجتمع يقلل من شأن الفرّاشة ويحط من قدرها وإنسانيتها.

إحدى بناتها تدرس الدكتوراه في نيوزيلندا واثنتان تدرسان الماجستير، والبقية يبلون بلاء حسنا في صفوفهم الدراسية المختلفة.

تزوجت وهي في الثالثة عشرة من عمرها، ما دعاها إلى ترك مقاعد الدراسة لمساعدة زوجها على أعباء الحياة، لكن لم تترك أحلامها، عملت مبكرا كمستخدمة في عدد من المدارس الحكومية، كانت تكنس الفصول بيد وتكنس جهلها باليد الأخرى، فكتبها الدراسية لا تفارق يدها، انتظمت في مدارس محو الأمية مدفوعة بشغف القراءة وحلمها، كانت لا تنام، تقضي الليل في الاستذكار والقراءة والقلق، فعملها وأطفالها لا يسمحون لها بأن تذاكر في النهار. كانت تردد «لا تحسب المجد تمراً أنت آكله... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا». كان هذا البيت زادها ودواءها، رفيق ليلها وجوعها.

ولم تكن تؤلمها قلة النوم، بل أطفالها الذين كانوا يخجلون من وظيفتها وزوجها. كانت ترى في عيونهم الانكسار؛ لأن أمهم فرّاشة وأبوهم فرّاش. كان الجميع يجلدهم بسياط التهكم والازدراء، لكنها كانت تحتويهم بالمزيد من العطف والحنان والاهتمام. كانت تعوضهم عن الساعات القاسية التي يصرفونها في المدرسة بساعات ماتعة وشيقة في المنزل، عبر أطباق زكية شهية، وألعاب وقصص مسلية تدخر قيمتها من أجل إسعادهم.

كانت الكلمات التي تلسعها وأسرتها محفزا لها لمواصلة تعليمها وتربية أطفالها ومقاومة الفشل الذي يتربص بهم

ريب المنون. فكلما أمرتها معلمة متغطرسة بطريقة فظة قالت لنفسها: «سأكون مديرتها يوما ما وسألقنها درسا في السلوك».

وكلما تهشمت إحدى بناتها الثماني جراء كلمة خشنة همست في أذنها قائلة: «ستصبحين دكتورة، وستضحكين أخيراً».

طريق أم عبد الهادي لم يكن مفروشا بالورود. لم يكن ممهدا ومعبدا. ما تجتازه الفتيات بسهولة كانت تتجاوزه بمشقة. فهي كانت تُرضع، وتطبخ، وتربي، وتدرس، وتبكي في حين كانت الفتيات الأخريات يدرسن فقط.

درست الصف الأول الثانوي مرتين، والثاني الثانوي مرتين، والثالث الثانوي ثلاث مرات حتى استطاعت أن تنجح وتصل إلى الجامعة.

لم تدرك أم عبد الهادي سبب قفز اللاعبين عند حالة تسجيلهم الأهداف إلا بعد أن تم قبولها انتسابا في كلية الخفجي للبنات. تقول: «قفزت حتى كدت أصل إلى السماء».

ولن تتوقف عند هذا الحد، فهي تأمل أن تتخرج بسرعة، وتمضي إلى دراسة الماجستير. شهيتها أصبحت مفتوحة لتسجيل المزيد من الأهداف، فأبناؤها كبروا، وصاروا عونا لها لا عبئا عليها.

تفاؤلها هو وقودها. فهي كتشرشل تماما تؤمن أن «المتشائم يرى صعوبة في كل فرصة، والمتفائل يرى فرصة في كل صعوبة». لن تتخلى عن وظيفتها أيضا، فهي تعتقد أنها خلقت لها تحديات دفعتها دفعا إلى هذه النجاحات.

تأثير أم عبد الهادي لا يقتصر على محيط أسرتها، فقد تجاوزت سمعتها أسوار الجبيل والمنطقة الشرقية. صارت مضربا للمثل في قوة الإرادة والتحدي. أسهمت في نهوض الكثير ممن تعثروا في دراستهم بعد أن تصفحوا تجربتها المطرزة بالكفاح والصبر.

ونحن نبتغي أن تتجاوز تجربتها الوطن، أن يكرمها سمو الأمير فيصل بن عبد الله بن محمد وزير التربية والتعليم، وأن تُوثّق وتُدرس تجربتها. فهي ليست مجرد فرّاشة.

نشر في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٩م

بتال القوس..كيف أصبح يتقاضى ٧٠ ألفا؟

دخل بتال القوس الصحافة بأجر لا يتجاوز ٧٠٠ ريال، وخرج منها وهو يتقاضى نحو ٧٠ ألف ريال. قدم وأعد البرامج الرياضية فأصبح خلال ٤ سنوات أفضل مذيع سعودي لعام ٢٠٠٧ حسب استفتاء صحيفة الرياض. ونال القوس الذي يقدم برنامج «في المرمى» على شاشة «العربية» ٤٠٪ من الأصوات بعدما فاز بإعجاب ٣٠٦٢٩ من مجموع المشاركين في الاستفتاء، متقدما على ثمانية مذيعين ومقدمين لافتين.

بتال القوس (٣٢ عاما) ظاهرة إعلامية مثيرة. فعندما كتب بلغة أدبية في الصفحات الرياضية، حذا حذوه الكثيرون. وحينما ابتدع أسلوب «المواجهة» في حواراته على القناة الرياضية السعودية، أمست كل البرامج الرياضية مواجهات.

إنه (ستايل سيتِر)، يخترع ويبتكر، ويناهض النمطية والسكون، ما جعل احترامه يتفاقم في الأحشاء، يتفاقم بسرعة.

رغم أني لا أصنف نفسي رياضيا، لكنني عندما أشاهده على الشاشة، أترك كل شيء وأنصت إليه. وإلى مقدمات برامجه المتأنية، وإلى وجهه الصارم الذي ورثه من أبيه العسكري المتقاعد، الذي يشي بأنه سيلقي خطاباً في الأمم المتحدة.

يشير الأستاذ يوسف ماهر، أستاذ الاتصالات السابق في جامعة أوهايو، وهو يلقي دورة في الخطابة في دبي إلى أن بتال القوس من المذيعين المشرقين على الشاشة. فهو حازم في حواراته، وجاد في نظراته وملابسه ومظهره. يقول: من الصعب عليّ أن أحترم مقدما أو مذيعا لا يحلق شعره بانتظام، ولا يقلم أظافره وكلماته قبل أن يدخل الأستوديو».

يقف بتال على أرض صلبة، فنجاحه لم يأت من فراغ. وَلَعُهُ باللغة العربية بدأ منذ المرحلة المتوسطة، ما لفت انتباه أساتذته الذين شجعوه على اعتلاء المنابر مبكرا. فقد كان عضوا في الإذاعة المدرسية. ومواظبا على حلقات تحفيظ القرآن في المسجد القريب من منزله. حفظ القرآن وقراءة الشعر جعلاه يرتبط باللغة ويتعمق فيها.

عندما انتقل إلى المرحلة الثانوية انتقل معه حب القراءة بمعية الكتابة. وكان يجرب لغته ويطورها عبر كتابة (رسائل العشق) لأصدقائه الذين كان يعودونه وحدانا وزرافات في منزله؛ ليكتب لهم رسالة أو جملة يخطبون بها وُدّ من يعشقون.

في عام ١٩٩٥، تقدم لدراسة الأدب الإنجليزي في جامعة الملك سعود، لكنه لم يقبل فيه؛ لأنه لم يدخل اختبار تحديد المستوى إثر عارض صحي ألمَّ به وقتئذ وحبسه في المستشفى لمدة ١٠ أيام. بعد أن نهض من السرير أطلق ساقيه للريح، ميمما وجهه شطر مكتب عميد القبول والتسجيل، برفقة التقرير الطبي، متوسلا أن يخوض الاختبار الذي غاب عنه، بيد أن طلبه رفض بذريعة «لا استثناءات». لم يستسلم بتال، حاول جاهدا أن يلحق بحلمه المتمثل في دراسة لغة جديدة تستهويه حتى حصل على وعد بإلحاقه بقسم الأدب الإنجليزي بعد فصل دراسي واحد من التحاقه بأحد أقسام كلية الآداب الأخرى. لم يجد أمامه سوى باب الدراسات الاجتماعية. درس علم الاجتماع وسرعان ما تورط في علاقة حب مع هذا العلم جراء تأثير الدكتور عبدالله الفيصل فيه وفي زملائه طلاب القسم. انصرف تماما عن فكرة دراسة الأدب الإنجليزي، وكرّس جل وقته للبحث والتعمق في علم الاجتماع.

في عامه الثاني في الجامعة، انضم محررا رياضيا متعاونا إلى صحيفة الاقتصادية لزيادة دخله المتواضع آنذاك. يتذكر بتال: «لم تكن الصحافة في أجندتي، لكن أذعنت إلى رغبة العشاق الذين أكتب لهم، لاستثمر موهبتي ماديا». بدأ بتال بـ ٧٠٠ ريال شهريا. عمل محررا ميدانيا لمدة ٨ أشهر، ثم انتقل إلى العمل في المطبخ الصحفي (الديسك) إثر صياغته المميزة مقارنة بأقرانه، كما أن الميدان الرياضي لم يرق له. خلال فترة وجيزة أصبح يتولى إدارة القسم في غياب رئيسه خلف ملفي.

بعد شهور من التحاقه بالاقتصادية عرض عليه رئيس تحريرها السابق محمد التونسي أن يتولى إدارة الصفحة الأولى. يقول «خفت من التجربة، لكنها مغرية». بعد فترة قصيرة أضحى بتال أحد العناصر الرئيسة في الاقتصادية. يستشهد «ظللت ثلاثة أشهر أجتمع يوميا مع التونسي وسكرتير التحرير أحمد التلي وحدنا بعد أن تعرض مدير التحرير عبدالله الذيابي إلى حادث، واستقال وجدي سندي، وسافر شريف قنديل إلى مصر». خسر بتال خلال تلك المدة ٢٠ كيلو: «كنا نعمل ١٤ ساعة دون توقف. لا نأكل سوى الأحبار والأخبار».

وكان قبل ذلك قد اجتاز بنجاح الدورة التأهيلية للمذيعين، بعد تخرجه في الجامعة مباشرة. كانت دورة مكثفة امتدت إلى نحو سبعة أشهر. تتلمذ من خلالها على أساتذة لا يمكن أن ينسى فضلهم في صقل مهاراته الإذاعية، وأبرزهم معتوق شلبي، وخالد الشهوان، وعبدالمحسن الحارثي، وغالب كامل.

كان يخطئ كثيرا في نطق الجمل الصحيحة، ويتعرض إلى نقد حاد من أساتذته. كان يتساءل بتال وهو في السيارة، في طريقه إلى مقر انعقاد الدورة: «هل أصلح أن أكون مذيعا؟». كانت الإجابة دائما تبدو على محيا معتوق شلبي الذي يرحب ببتال في كل مرة بحرارة كانت هي الدافع لأن يتجاوز أخطاءه ويستمر.

وظل بتال متفرغا في الإذاعة ومتعاونا مع الاقتصادية حتى عام ٢٠٠٣ عندما عرض عليه المشرف العام على القناة الثالثة، محمد الشنقيطي وقتئذ ترقيته والانتقال إلى العمل في القناة الجديدة. وكان بتال أول مذيع سعودي يظهر صوتا وصورة على القناة الثالثة قائلا: «هذا زرع الآباء للأبناء، أثمر وأينع، وحان وقت الحصاد...». وبعد شهور من الظهور التلفزيوني، هجر القوس «الاقتصادية» بعد رحيل التونسي. في منتصف عام ٢٠٠٤ اتفق مع ناشر صحيفة «شمس»، الأمير تركي بن

خالد على تأسيس ورئاسة تحرير الصحيفة الجديدة. وبالفعل صدرت الجريدة في عام ٢٠٠٥ وسط تفاؤل وبهجة كبيرين، لم يظل بتال طويلا رئيسا للتحرير فقد «استقال وأقيل منها» على حد تعبيره بعد أن أعادت الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم). وكان خلال تلك الفترة قد وافق على الانتقال إلى «العربية» عبر العمل من الرياض. لكن مغادرته لـ «شمس» جعلته يفكر في العرض الأول الذي تلقاه من عبدالرحمن الراشد، الذي كان يتحدث عن انتقاله إلى مكاتب القناة الرئيسة في دبي. قبل أن ينضم فعليا إلى «العربية» أخذ إجازة طويلة امتدت إلى ثلاثة أشهر، سافر فيها خارج المملكة ليرتب أوراقه ويفوق من الصدمة التي تتمثل في خروجه من «شمس»، الذي شهد مخاضها ونشأتها.

لم يكن الانتقال إلى «العربية» هينا، فقد سبق أن رفض عروضا تلقاها من «إل بي سي»، و«المستقبل» و«الجزيرة». يسترجع المفاوضات: «كانت الجزيرة أكثر جدية، لكن وزارة الإعلام كانت متمسكة بي جدا». فقد أوكل الوزير السابق للوزارة، الدكتور فؤاد فارسي وكيله وقتئذ، الأستاذ عبدالوهاب بغداد ليثني بتال عن الرحيل. يقول بتال: «عرضوا عليَّ الحصول على انتداب الصيف الذي كان يمثل حلما لموظفي الوزارة».

وبتال، الذي يدرس الماجستير في الإعلام، ويقدم برنامج «في المرمي» من دبي يحن إلى العودة إلى المملكة، لكن ليس الآن. فهو مازال منتشيا بالتجربة الجديدة. كما أنه يحلم أن يتابع دراسته العليا، وأن يصبح محاضرا في الجامعة أو محاميا لامعا.

أسهم بتال في احترامنا لمهنة الإعلامي الرياضي. يقول الصديق فارس بن حزام «لم يعد تابعا بل متبوعا. فالكثير من نجوم المشهد الرياضي يتبعون بتال ويثمنون مهنيته».

ربما لا يبتسم بتال كثيرا، لكن يسعدنا كثيرا عندما يطرح الأسئلة بذكاء وجدية تجعلنا نردد ونحن نشاهده «أعط القوس باريها».

نشر في يوم الجمعة ٢٨ ذو الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٨م

حسين نجار...حنجرة بملابس

صوت حسين نجار (٦٤ عاماً) كنز كلنا نبحث عنه.

إنه كوب القهوة الوحيد الذي أرتشفه من دون سكر.

إنه الصوت الذي يسافر معنا إلى كل مكان منذ ١٥ عاما. ويملؤنا طمأنينة وهو يتلو دعاء السفر بخشوع، على متن طائرات الخطوط السعودية كلما ربطنا الحزام ورفعت الطائرة أصابعها عن الأرض واتجهت نحو السماء.

إنه الصوت المهيب الذي يأتي في تمام الساعة الثامنة وأربعين دقيقة مساء كل اثنين وأربعاء وخميس على موجات إذاعة البرنامج الثاني.

يعمل ١١ ساعة متواصلة منذ ٥ عقود دون تبرم، دون أن تفارقه ابتسامته التي تحول ثغره إلى غابة لؤلؤ.

ولد حسين بن محمد بن يعقوب نجار في مكة المكرمة عام ١٣٦٣هـ، الموافق ١٩٤٤م. تخرج في معهد إعداد المعلمين الابتدائي في مكة عام ١٣٨١هـ، الموافق ١٩٦١م، ومارس مهنة التدريس صباحا، وتابع تعليمه مساء وهو ابن الثمانية عشر ربيعا.

كانت شهادة معهد المعلمين وقتئذ تعادل الشهادة الابتدائية، بينما طموحه يتجاوز عنان السماء.

أكمل المرحلتين المتوسطة والثانوية ليلا، فيما نضجت حنجرته استعدادا للانطلاق إلى فضاء لا سقف له.

فاجأ الجميع بلسانه الفصيح وبلاغته اللافتة ونقاء سريرته، ما جعله يعلو المنابر والمنصات والمسارح في سن مبكرة، وكأنه يأخذ بنصيحة زهير بن أبي سلمى عندما صدح قائلا «لسان الفتى نصف ونصف فؤاده».

التحق نجار بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وهو على رأس العمل، متخصصا في إدارة الأعمال في كلية الاقتصاد والإدارة.

خلال دراسته الجامعية أذهل كل من سمعه إثر صوته الذي يتغلغل إلى العظام. عام ١٣٨٥هـ، الموافق ١٩٦٥م أذعن لمحبيه ولحنجرته وانتقل للعمل مذيعا في إذاعة جدة.

تقلب بين أعمال إدارية عدة إلى جانب عمله كمقدم برامج، حيث عمل مديرا لإدارة المنوعات، ومديرا للإنتاج، ومشرفا على البرامج الأوروبية، ومديرا لإذاعة البرنامج الثاني، ومديرا لإذاعة نداء الإسلام.

لم تصرفه موهبته، وصعوده الإداري اللافت، وهتافات أنصاره عن مواصلة طموحاته العلمية. أخذ إجازة من دون مرتب وذهب إلى أمريكا لمتابعة دراسته العليا. هناك حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة ميسوري عام ١٤٠٣هـ، الموافق ١٩٨٣م.

يقول والأحلام ترفرف في عينيه كالنجوم «من المفترض ألا نكف عن التعلم. التطوير أساس النجاح».

نجار الذي يجري حوارات شبه يومية يرفض أي حوار صحفي زاهداً في الأضواء. جربتُ أن أغريه وأغويه غير مرة لكن دون جدوى. في كل مرة كان يكرر جملة لا تهرم «لست صديقا للتصريحات».

تقاعد عن العمل الإداري عام ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠٠١م لكنه مازال يعمل بكل شغف مذيعا ومقدما للبرامج، ومحاضرا متعاونا مع معهد الإدارة العامة في جدة، وقسم الإعلام في

جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، والمركز العربي للتدريب في دمشق، وجهاز إذاعة وتلفزيون الخليج.

ويصفه أحد طلابه ومحبيه، محمد العيدان بأنه رغم دخوله العقد السادس إلا أنه يشعرك بأنه ابن العشرين بفضل حيويته وحماسته وطموحاته التي تبدو على أطرافه وفي صوته.

يقول «ربما تلعب علينا أنفسنا ونغيب عن محاضرة أحد الأساتذة، لكن لا يمكن أن نفوّت دقيقة واحدة من محاضرة الدكتور النجار».

هو الآخر لا يفوت أي دقيقة دون أن يقوم بعمل إيجابي لطلابه ومريديه ومجتمعه، يعكف حاليا على وضع اللمسات الأخيرة على مؤلفين في المجال الإعلامي لطلابه. يبرر «وجدت أن هناك شحا في الكتب الإعلامية ذات البعد المحلي».

حسين نجار... حنجرة بملابس. علينا أن نوثق تجربته ونكرمه. لا يجب أن نهدره.

نشر الجمعة ٥ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ الموافق ١١ أبريل ٢٠٠٨م

خالد مدخلي..حقنة النجاح

فُجعتُ عندما شاهدت مذيع قناة الإخبارية، خالد مدخلي وجها لوجه قبل شهرين. فلم أكن أتخيل أنه يسير بعصا وبجهاز مساند. لم أكن أتصور أن هذا الصوت الذي يزرع حقول الفرح يعرج، وأن هذه الحنجرة التي تعّد أحلامنا بالأمل تتكئ على حزن.

لم يخرج خالد من بطن أمه عام ١٩٧٥، برجل ثالثة، لكن خطأ طبيا أحاله إلى مشلول. كان عمره عاما وشهرا، وقتئذ، عندما أصيب بارتفاع كبير في درجة الحرارة، حمله والده على كتفه وطار به إلى مستشفى القوات المسلحة في تبوك، كان عصر يوم الأربعاء. المستشفى بدت خالية من اختصاصي أطفال. كان أبوه يحمله بين ردهات المستشفى كغريق، يقتحم الغرف بحثا عن منقذ يكبح ألم ابنه دون جدوى، لم يأت الاختصاصي إلا في

ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم، وبعد كشف سريع عليه سأل الطبيب الممرض أن يعطي الطفل خالداً حقنة على جناح السرعة. اعتذر الممرض عن إعطائها لأسباب لم يدركها الأب آنذاك. قام الطبيب بحقن خالد بنفسه، وسرعان ما انخفضت حرارته بسرعة قياسية. أعاده والده إلى المنزل، بعد أن اطمأن عليه.

بيد أنه صدم في اليوم التالي حينما شاهد رجل ابنه تتأرجح كأنها كيس رمل. ثمة غمامة نبتت على محياه لقاء هذا المشهد، جعلته يهرع حاملا ابنه خالداً مجددا على كتفه إلى المستشفى نفسها. وهناك تلقى أسوأ نبأ في حياته، المتمثل في شلل ابنه إثر حقنة خاطئة.

جمع والده أشلاءه التي تبعثرت في غرفة الطبيب المناوب، وأخذ يسأل عن الاختصاصي الذي أعطاه الحقنة القاتلة. يتذكر والده الضابط المتقاعد في القوات المتسلحة، أحمد علي غليلة مدخلي، تلك اللحظات قائلا: «كنت مشتتا. لكنني تماسكت إيمانا بقضاء الله وقدره». قاوم أبوه حزنه وأخذ يتردد إلى المسؤولين في مستشفى القوات المسلحة لمقاضاة الطبيب. اندلع التحقيق فعليا. وتبين لاحقا أن الطبيب نفسه تسبب في إصابة خمسة أطفال آخرين بالشلل جراء حقن خاطئة. خالد، الذي يبلغ الآن ٣٤ عاما، يرجو أن يلتقي الطبيب، الذي تسبب في إعاقته.

يقول «أتمنى فقط أن أشاهده ويشاهدني». لا يعلم خالد إذا كان الطبيب عوقب جراء ما فعله أم لا. لكن يعرف شيئا واحدا ردده مرتين: «إصابتي في قدمي لم ولن تمنعني من أن أحلم».

بالفعل خالد لم ينذو. فقد حقق نتائج دراسية مميزة جعلته يتخرج بتقدير ممتاز في تخصص اللغة العربية في جامعة الملك سعود.

وتقدم مباشرة لإدارة التعليم والثقافة في وزارة الدفاع على وظيفة معلم. لكن طلبه رفض لأنه معاق. ثم قدم أوراقه إلى وزارة الإعلام. واجتاز المقابلة الشخصية التي شارك فيها كبار المذيعين في التلفزيون، وقتئذ، وهم: غالب كامل، وإبراهيم الصقعوب، وحسن التركي، وعبد المحسن الحارثي. وسألوه خلال المقابلة أن يقرأ خبرا موجزا. وبعد أن خرج من المقابلة. ناداه مهندس الصوت، عبد الرزاق الحمدان. وسأله: «هل تركت رقم هاتفك؟». وأجابه خالد بالإيجاب. فرد عليه الحمدان باقتضاب: «إذن، إن شاء الله خير».

ورغم أن المؤشرات إيجابية على قبوله في وظيفة مذيع في وزارة الثقافة والإعلام إلا أن خالداً لم يكن متفائلا حينها، كون عدد المتقدمين تجاوز ٤٠٠ شخص، والمطلوب ٢٠ فقط.

يفسر تشاؤمه: «أنا جيزاني، وليست لدي واسطة، ومعاق، كيف سأحصل على هذه الوظيفة؟». وحتى لا ينتظر ما لا يجيء على حد تعبيره، قدم أوراقه إلى وزارة التربية والتعليم. وقد واجه هناك موقفا كوميديا يراه خالد «حلقة مناسبة لطاش المنتظر». فقد طلب منه المسؤول خلال المقابلة أن يصعد الدرج ويهبط منه ثلاثا، وأن يصعد على الكرسي ثلاثا. ونهره المسؤول حينما استعان بيده ليصعد على الكرسي. قال له بصوت عال: «لا تستخدم يدك». حينها انصرف خالد من المقابلة منكسرا، لكنه فوجئ باسمه مقبولا في الصحف في الوظيفتين كمعلم وكمذيع. واختار التلفزيون جراء الانطباع السلبي الذي يحمله تجاه وزارة التعليم بعد المقابلة الشخصية.

وأكثر ما يحزن مدخلي هو إيقافه مرتين، ما يهدد مستقبله وأسرته. فخالد، الذي وُظف كمذيع على المرتبة السادسة، براتب ٤٥٠٠ ريال فقط، يشعر أنه لا يحصل وزملاؤه على الأجر والتقدير الذي يتناسب وجهدهم. يشعر أن مستقبله غائم.

فخالد أوقف أول مرة حينما عُرض لقاؤه مع الشيخ صالح بن حميد، عندما كان رئيسا للشورى، دون أن يعرف السبب. والغريب في الأمر على حد قول مدخلي هو أن رئيسه، وأحد أكثر الداعمين له، محمد التونسي، رئيس القناة السابق، كان

في غرفة الكنترول، أثناء الحلقة، وطلب منه ألا يتراخى في اللقاء. كما أنه صدر أمر على الهواء بتمديد الحلقة لمدة ساعة. ولم تلبث الحلقة أن تنتهي حتى تلقى سيلا من التهاني من داخل القناة وخارجها. لكنه فوجئ في اليوم التالي بنبأ إيقافه، الذي لم يكن يعرف سببه حتى التونسي.

والمرة الثانية التي أوقف فيها مدخلي كانت بسبب حلقة قدمها عبر برنامج (المجلس) عن الإعلام والإصلاح.

وكان السبب «غير منطقي» على حد تعبيره؛ لأنه استضاف المذيع الإذاعي سلامة الزيد، الممنوع من الظهور تلفزيونيا. يحتج: «أنا لا أعرف أنه ممنوع من الظهور. لماذا لم تبلغني الإدارة. فهي التي وافقت على أسماء ضيوفي قبل انطلاق الحلقة».

سيظل خالد مدهشا بحنجرته ومهنيته رغم كل الظروف التي تحاصره، متمنيا فقط أن يرمي عصا الحزن التي يمسكها، مرددا مع القصيبي: ارمِ عصاتكَ ! ما أنت أعرج... إنما نحنُ جوقة العرجان.

نشر في يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٠. ٢٣ مايو ٢٠٠٩

دانية أحمد باحنشل..قلب بيدين

عندما يدور الحديث عن دانية أحمد باحنشل (٢٥ عاما) ستعتقد أنها قلب بيدين أو ملاك بلا جناحين.

دانية لم تكتفِ برحلتها الإغاثية إلى منكوبي إعصار تسونامي في (بندآتيشي) في إندونيسيا، بل أسهمت في العديد من المبادرات الخيرية والإنسانية.

هذه الفتاة السعودية اليافعة لا تستطيع أن تنام دون أن تقوم بعمل إنساني. فحتى خلال اختباراتها الجامعية، تغادر كتبها وملازمها وتذهب إلى الحرم المكي لدفع عربة امرأة مسنة أو مساعدة أخرى.

في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة تجتمع بعض الطالبات خلال الاستراحات للحديث عن المساحيق أو الحقائب اليدوية، بينما تجتمع هي وزميلتها زلفة عبدالعزيز باز خلف عربة أطلقا

عليها اسم (زاد الركب) لبيع المواد الغذائية والساندويتشات والمرطبات بأسعار زهيدة لمساعدة الطالبات ذوات الدخل المحدود. تقول دانية: «لا نستطيع أن نتخلى عن زميلاتنا اللاتي لا يقدرن على دفع قيمة الساندويتش في مطاعم الجامعة، بعضهن لا يملكن أكثر من ريالين في حقائبهن».

لم تدخل عربة (زاد الركب) حرم الجامعة بسهولة بل بصعوبة بالغة؛ حيث استغرقت إجراءات وتصاريح دخولها نحو سنة ونصف السنة كانت قابلة للتمديد لولا تدخل الدكتورة سمر السقاف عميدة قسم الطالبات في جامعة الملك عبدالعزيز، التي ذللت المعوقات التي كانت تحول دون دخول العربة.

واللافت في دانية هو تمسكها بنقابها رغم مشاركتها في تنظيم مناسبات محلية ودولية مختلفة؛ حيث تؤمن بأنها تستطيع أن تقوم بدورها على أكمل وجه دون أن تغير أسلوبها أو تخلع نقابها.

هذا النقاب أيضا لم يمنع دانية من التواصل مع زملائها الذكور في برنامج «صناع الحياة»، وكذلك مع زملائها في المستشفيات التي تدربت وتطوعت في أرجائها. تقول: «إن الحلال بيّن والحرام بيّن، والفتاة هي التي تفرض احترامها على الجميع من خلال سلوكها وطريقة تعاملها. والنقاب لا يجب أن يحرمنا الحركة والعمل».

العمل التطوعي لم يحرم دانية أيضا من ممارسة هواياتها والقيام بفروضها الدراسية والاجتماعية، فهي تركب الخيل، وحاصلة على أكثر من ١٢ دورة في التطوير الذاتي، إضافة إلى بكالوريوس في العلوم من كلية العلوم قسم أحياء. فهي تنظم وقتها. لا تنام إلا قليلا. تستيقظ بعد صلاة الفجر وتبدأ رحلتها اليومية الحافلة بالأنشطة والبرامج.

كما استثمرت دانية طوال دراستها الجامعية في جدة استقلالها للحافلة التي تقلها من مسقط رأسها مكة للاستذكار والتخطيط ليومها. تقول: «أعظم مشاريعي تبلورت في تلك الحافلة».

وتعترف دانية بأن رحلتها الإغاثية لإندونيسيا غيرت الكثير من مفاهيمها هي وأبيها الذي رافقها؛ إذ كان الإندونيسيون يتهافتون عليهما لتقبيل رأسيهما ويديهما فور أن يعلموا أنهما قادمين من مكة المكرمة. وترى دانية أن المحبة والتقدير اللذين يحتفظ بهما الإندونيسيون للسعوديين يجب أن يقابلهما عمل إنساني وأخلاقي يليق بهذه المكانة التي ظفر بها السعودي كونه يقطن هذه البقعة المباركة.

في المقابل، لا تنسى دانية الضحكات الساخرة التي أطلقتها صديقاتها على مسامعها عندما علمن بنبأ ذهابها إلى إندونيسيا. تنتحب: «مع الأسف، تنقصنا الثقافة والوعي بما

يدور حولنا. علينا أن ننظر للآخرين على نحو إيجابي يساعدنا على المحافظة على صورتنا الجميلة في بعض الدول».

وما أحزن دانية كثيرا أثناء وجودها في إندونيسيا هو أنها السعودية وربما الخليجية الوحيدة التي ذهبت لإسعاف ومساعدة المنكوبين في بلد مسلم، في حين تمتلئ إندونيسيا وقتئذ بآلاف الأمريكيات والأوروبيات.

تصف الصحفية الكندية روزإلينك مشاركة دانية في إغاثة الإندونيسيين: «حتما إنها ملاك. فمن يطير إلى إندونيسيا بعد أقل من شهرين من حدوث الكارثة متحدية الأوبئة والأمراض؟».

باختصار، دانية وشقيقاتها قادرات بكفاءة على تغيير الصورة النمطية عن المرأة السعودية متى ما توافرن في المكان والزمان المناسبين. السعودية ليست امرأة مضطهدة أو مصممة أزياء فحسب، بل طبيبة وممرضة وشجاعة ومسعفة وقبل كل ذلك إنسان.

نشر في يوم الجمعة ١٥ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧م

دوشة جغدمي ١٤ عاماً من العذاب!

أمضت دوشة علي محمد جغدمي ١٤ عاما وهي تغسل كليتها. كانت تذهب ٣ مرات أسبوعيا (السبت، والثلاثاء، والخميس) إلى مستشفى الملك فهد في جازان قادمة من قرية الرد التي تبعد ٨٠ كيلومترا عن مركز الغسيل. كانت تخرج قبل موعدها بأربع ساعات بحثا عن سيارة تقلها وصغيرها محمد إلى المستشفى. كادت الشمس أن تحرقهما أثناء الانتظار غير مرة، لولا لطف الله ودعواتها التي تكافح عبرها الفاقة وقلة الحيلة.

كانت الرحلة إلى المستشفى تكلفها ١٠٠ ريال وأحيانا تزيد حسب مزاج السائق. وعورة الطريق وتهور المسافرين المجاورين يزيدان من أوجاعها وقلقها خلال ترحالها الدائم.

تركل ألمها باحتضان يد ابنها محمد وتلاوة المعوذات بصوت خفيض طوال الطريق.

تصل إلى المستشفى في كل مرة وهي منهكة، تخرج الكلمات من فمها بصعوبة كأنها تلد الحروف. ويتضاعف تعبها بعد عملية الغسيل حتى يخيل لابنها أنها ستغادر الدنيا بمعيته وهي في طريق العودة إلى منزلها.

عندما تغمض دوشة عينيها وتمسك بيد ابنها تقترب منها الممرضة لتشرع في عملية الغسيل. تخرج دمها من جسمها وتمرره عبر جهاز الإنفاذ الذي يقوم بتنقيته ثم يعيده إلى جسمها مجددا. وخلال هذه العملية التي تستغرق ٤ ساعات يقوم محمد بقراءة القرآن على مسامع أمه التي تبكي تارة وتحتضنه تارة أخرى.

ثم يقوم بقراءة قصائد للمتنبي والإمام الشافعي والمعري بصوت عال لأمه وجيرانها حتى تبتسم وتنام ليبدأ مراجعة دروسه التي يغادرها عندما تستيقظ أمه وينتهي الغسيل.

فور أن تستيقظ يساعدها محمد والممرضة على النهوض من سريرها. ثم يصبح عكازها يساعدها على المشي. تتكرر معاناتهما في الذهاب وفي الإياب أيضا عندما يلوحان هو

وأمه للمسافرين أمام الإشارة الضوئية المتاخمة للمستشفى ليحملاهما إلى قريتهما. لا تقف السيارات لهما. تكشهما أبواق المركبات عن الطريق.

وتدوسهما نظرات المارة. يعتقدون أنها متسولة كاللاتي ينتشرن برفقة أطفالهن في الشوارع وبمحاذاة المساجد. فعباءتها تكسرت من السفر وخطواتها تعثرت من الإرهاق، ووجه ابنها لا يشي إلا بالجوع والفقر.

أصبحا لا يلوحان بأيديهما بل بمئة الريال التي تسيل لعاب بعض السائقين الذين يتوقفون ويحملون الأم وابنها إلى قريتهما النائية.

فور أن تستقل الأم السيارة تضع رأسها على فخذ ابنها محمد وتنام حتى تصل من فرط ألمها وضعف جسدها، في حين يعود محمد إلى حقيبته المدرسية التي تواسيه في سفره.

حينما يصلان إلى منزلهما تستحم أمه ثم تتحامل على نفسها لتعد العشاء لزوجها وأبنائها محمد، وموسى، ومريم، وعبدالله. بعد أن تأكل وأطفالها تذهب معهم إلى السطح ليناموا، فلا مكيفات تهدهدهم، ولا كهرباء تؤنس وحدتهم.

كبر محمد، وبلغ ٢١ عاما وذاكرته لا تحمل في أمعائها سوى صور السيارات التي تحمله إلى ومن المستشفى. تلك السيارات

التي طالما لوثته بسعالها وسعال سائقيها. تلك السيارات التي كانت منزلا لدموع أمه وجراحها.

كبر محمد دون أن يصرف خميسا واحدا مع أصدقائه كبقية الأطفال. عطلته كان يقضيها بجوار الأدوية وأجهزة غسيل الكلى.

كبر محمد دون أن يشارك في الدوريات التي يتابعها وتقام في حارته؛ لأنه لا يستطيع أن ينتظم، لا يستطيع أن يلتزم في ظل ارتباطه بأمه، وفي ظل انشغال والده بتأمين لقمة العيش له ولأشقائه.

رحلت أمه دوشة قبل عامين إثر نوبة قلبية. في هذا الوقت نفسه، في شهر رمضان المبارك قبل أن تضاء قريتهم بالكهرباء. قبل أن تفرح بدخول ابنها ورفيقها محمد أحمد ناصر مسودي إلى الجامعة، بفضل البرنامج التعليمي لجمعية الأمير فهد بن سلمان الخيرية لرعاية مرضى الفشل الكلوي.

رحلت أمه قبل أن تشاهد ولدها البكر يحصل على شهادة البكالوريوس في تخصص الحاسب الآلي الذي يعشقه.

لكن محمد عازم على ألا يخذلها في قبرها، وأن يحقق لها كل أمنياتها التي كانت تعتقد أنه ليس بوسعه تحقيقها بسبب

تضحياته من أجلها. فهو يعدها بأن يتفوق في الجامعة، وأن يحصل على وظيفة تجعله يقتني سيارة، وثلاجة، وغسالة أتوماتيكية.

رحم الله دوشة وتغمدها بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته. ورزق الله القائمين على جمعية الأمير فهد بن سلمان الخيرية لرعاية مرضى الفشل الكلوي وفي مقدمتهم الأمير عبدالعزيز بن سلمان كل خير. فهم لم يضيئوا منزل دوشة فحسب بل أضاءوا قلوبنا أجمعين.



نشر في يوم الجمعة ٥ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق ٥ سبتمبر ٢٠٠٨م

سعيد آل قانع..الطبيب الطموح

الطبيب الشاب سعيد عائض آل قانع (٢٦ عاماً) كالسكّر. أبيض ويذوب في داخلك بسرعة. شاب شكلا لكنه كهل مضمونا. عميق كبئر سحيقة. عندما تلتقيه أو تسمعه أو تقرأه ستنحاز له، وتهطل كسحابة سخية قائلا: «سيكون مهما. سيكون نجما».

ولد سعيد في محافظة سراة عبيدة، مهد المبدعين، التي أنجبت الدكاترة علي الموسى وسليمان الهتلان ومسفر علي القحطاني. نشأ في قرية الوهابة بمحاذاة جبل حنيف، الذي طالما تسلق سيقانه هو وإخوته.

ترتيبه الثاني بين أشقائه العشرة. شقيقه الأكبر سعد طبيب جراحة مخ وأعصاب، ومبتعث حاليا في جامعة أوتاوا في كندا. أما شقيقه نواف الذي يصغره بثلاث سنوات فيدرس طب

الأسنان، وعلي يتخصص في الحاسب الآلي. في حين يتابع بقية إخوته تعليمهم في مراحلهم الدراسية المختلفة.

تجاهل والده الفرص التي غازلته فور تخرجه في جامعة أدنبرة عام ١٩٨٣ لينكب على العناية بأبنائه. فقد كان يؤمن بأن الاستثمار الحقيقي ليس في تشييد العمارات وشراء العقارات بل في الأبناء، ما أثمر عن ثلاثة أطباء حتى اللحظة يفيضون طموحا وتميزا.

أما أمه فيبكي على أغصانها كطفل عندما يحزن. ويتكئ على جذعها لينهض. فقد باعت أغلى ما تملك، وهي (قلادة ذهب)، قدمتها لها أمها عند زواجها قبل ٢٧ عاما، عندما كان سعيد في حاجة إلى مال قبيل زواجه.

ويستمد العطف والإنسانية من يديها التي رعت لسنوات جدته (أم أبيه) المقعدة برفقة ابتسامة لا تنضب.

درس سعيد جميع مراحله الدراسية من الابتدائية إلى الثانوية في المبنى نفسه. ويضحك عاليا كلما تذكر أنه درس الثانوية العامة في الفصل نفسه الذي درس فيه الأول ابتدائي. كانت تجمعه مع رفاق فصله الأربعة عشر صفات مشتركة ولياقة مرتفعة.

الكل مجتهد ومثابر كأنهم في ماراثون مرموق. ١٢ من زملائه يدرسون حاليا الطب وطب الأسنان والهندسة في أمريكا وبريطانيا سوى اثنين قضيا نحبهما إثر حادث مروري.

ولا يزال سعيد يتذكر تشدد بعض أساتذته في ثانوية (زيد بن حارثة) في سراة عبيدة. فقد كان شاهدا على خلافات شديدة نشبت بينهم أذكت التطرف في مدرسته.

كان بعضهم يحاول أدلجة الطلاب ضمن أنشطة طابعها التشدد والغلو وخصوصاً فيما يتعلق بالآخر. كان الشتم والتخوين لكل من يختلف معهم. يحرث ذاكرته: «كانوا يمنعوننا من التصوير في الحفلات المدرسية، ومن التصفيق للطلاب المتفوقين أثناء توزيع شهادات الشكر والتقدير».

تخرج سعيد في الثانوية العامة بتقدير ممتاز، ونسبة ٧٤,٩٩٪، وحصل على جائزة أبها للتفوق الدراسي في حينها. تم قبوله في كلية الطب في جامعة الملك سعود في الرياض، وقُبل أيضاً في كلية الطب في جامعة الملك خالد في أبها. واختار أبها نزولاً عند رغبة أمه التي ناضلت ليبقى قريبا منها.

ومن أبرز المشاكل التي واجهت سعيد في الجامعة «البيروقراطية والراديكالية والتشدد المنتشر بين بعض أعضاء

هيئة التدريس وبعض الطلبة في جامعة الملك خالد». كما يصف الطبيب آل قانع عدم وجود مستشفى جامعي للكلية منذ أكثر من ثلاثين سنة بـ «معضلة أكاديمية حقيقية».

تخصص سعيد في أمراض المخ والأعصاب لندرة التخصص في المملكة ولملاءمته مع شخصيته في حل الأمور المعقدة وتحليلها. فالتخصص صعب جداً ومفخخ ويحتاج إلى جسارة ومغامرة وتحد.

لم يجد سعيد صعوبة في تقبل الاختلاط في مجال الطب، فهو ينطلق في تعامله مع المرأة من منطلق الشراكة والتقدير المتبادل، ويؤمن بأن الفصل الكبير بين الجنسين في مجتمعنا أسهم في اتساع الهوة بين الطرفين خلاف ما كان في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، حينما كانت المرأة تشارك في كل شؤون الحياة وتغزو مع الرسول وتطبب الجرحى وتبيع وتشتري.

سأصفق لسعيد طويلا طويلا حتى لو منع التصفيق في سراة عبيدة.

نشر في يوم السبت ٢٥ رجب ١٤٣٠. ١٨ يوليو ٢٠٠٩

سلطان العذل...قصة تهز الوجدان وتحرك الأبدان

كلما شاهدتُ عالم الفيزياء البريطاني، ستيفن هوكينج (٦٨ عاماً)، وهو يحاضر بعينيه، تخنقني العبرة وتحتشد الدموع خلف أحداقي. وأسأل نفسي لماذا لا يعيش بين ظهرانينا إنسان بطموحه وقدرته على إبادة اليأس؟ لماذا ليس لدينا شخص يلاحق أحلامه الغفيرة بكرسي متحرك؟ فستيفن المصاب بالتصلب الضموري العضلي الجانبي المعروف بـ ALS، الذي خدر كل عضلاته وشل حركته، ولم يعد بوسعه التعبير إلا عن طريق عينيه، استطاع أن يملأ الغرب بالأمل. أشعل جذوة الحياة في نفوس الكثير من المرضى والأصحاء عبر كفاحه غير المسبوق.

اكتشفتُ أخيرا أنني كنت مخطئا. فلدينا من يشبه هوكينج. من لديه قصة معاصرة تستحق أن تروى في مدارسنا، وفي

جامعاتنا، وفي منازلنا، لكن مع الأسف لم يسلط الضوء عليها، لم تقدم لنا لنتناولها بدلا من أطباق القصص المستوردة المعلبة التي لا تقيم الأود.

إنها قصة المهندس سلطان محمد صالح العذل (٥٠ عاما)، المصاب بمرض هوكينج نفسه. المرض الذي عطل عضلاته، لكن لم يكبح طموحاته. فسلطان الذي تخرج متفوقا في الهندسة الكهربائية من جامعة بورتلاند بأمريكا عام ١٩٨٠ يمتلك قصة نجاح تهز الوجدان وتحرك الأبدان، فعندما ابتلاه الله بالمرض شابا في عام ١٩٩٧، وهو في مقتبل حياته العملية في القطاع الخاص لم يقنط من رحمته سبحانه وتعالى. استقبل الخطب الجلل برباطة جأش وثبات. لم يستكن للألم أو يرضخ للحزن أو ينتظر الموت ليسحبه من فراشه. أكمل مشواره الذي بدأه قبل مرضه بتأسيس شركة سمسا/ فيديكس للشحن السريع .. كأن شيئا لم يكن. استطاع أن يتكيف مع ظروفه الجديدة متسلحا بإرادة حديدية تحطم الصعاب. فقد أصبحت اليوم شركته تغطي أكثر من ٢١٠ مدن وقرى في المملكة، وتمتلك ١٠٥ أفرع. يقول لي ابنه الشاب نايف، مدير الشركة التنفيذي، إن والده خلف النجاح الهائل الذي تعيشه الشركة بفضل متابعته وأفكاره. فوالده سلطان يعمل ساعات طويلة يوميا، ويشرف على

كل صغيرة وكبيرة، ولا يتمتع بأي إجازة سنوية. فمتعته الحقيقية تكمن في توسع شركته ونموها. واستشهد نايف بالجهد الوافر الذي بذله والده خلال الأزمة المالية العالمية الأخيرة، الذي مَكَّن الشركة من تحقيق نمو لافت في أرباحها على عكس شركات عدة تكبدت خسائر بالجملة.

لم يكتفِ المهندس سلطان العذل بالنجاح الكبير الذي حققه في مجال الشحن السريع في المملكة ،إذ أسس نحو سبع شركات أخرى في مجالات مختلفة يشبع من خلالها نهمه وطموحه الذي لا ينتهي.

عدم قدرة العذل على الكلام واحتضان القلم أو العزف على كيبورد الكمبيوتر لم يحرمه من ممارسه شغفه بالبحث والكتابة، فقد أنفق العذل الكثير من وقته وماله باحثا ومستكشفا. ألف أخيرا كتابا يتناول أسرته وتجربته وزعه على أقربائه. يصفه الأستاذ محمد الفريح، مدير النشر المتخصص في شركة العبيكان، وهو يحمله بكلتا يديه: «إنه ليس ثقيلا حجما فحسب، بل قيمة أيضا».

كتب العذل ٢٠٠٠ صفحة بعينيه عبر لوحة خاصة للمصابين بـ ALS. زرع كل حرف ببصره، وبقلبه، فيما بعضنا يعجز عن كتابة سطرين لأمه أو من يحب! إن أكثر ما يدهشك في سلطان العذل هو الحبور الذي يعلو ملامحه. فهو يؤمن بأن من يزرع

البسمة في وجهه، يحصد السعادة في قلوب الناس. هذه البهجة التي تقود العذل رغم معاناته نأمل أن تتفاقم في مجتمعنا الذي يسوده التشاؤم. أن يقطفها أطفالنا من مناهجنا ومكتباتنا وشاشاتنا؛ ليعم التفاؤل الذي ينشده أي غيور على الوطن. فنحن في أمس الحاجة إلى أمثلة نقتفي أثرها. تعزز أحلامنا وتجفف منابع يأسنا. لو نبت العذل في أرض أخرى لتصدرت صوره أغلفة المجلات والقنوات، لكن مع الأسف نسيناه وانشغلنا بلاعب نزق وجمل نفق! قصة نجاح العذل ومن على شاكلته من الصابرين المبدعين يجب أن تنتشر.. تتغلغل في أعماقنا. أن ترافقنا أينما ذهبنا. تسافر معنا في أحشائنا حتى لا نتقاعس أو ننتحب عندما نصاب برشح أو صداع أو جزع.. عندما تجرحنا سكين أو خيانة.

طموحاتنا يجب ألا تموت أو تتهشم مهما تعرضنا لهزات وإحباطات. مهما تعرضنا لأمراض أو ابتلاءات. فكما يقول نابليون بونابرت: «إنك بالإبرة تستطيع أن تحفر بئرا». فمن يستطيع أن يتنفس بوسعه أن ينال أحلامه مهما كانت حدة آلامه، ولنا في كفاح العذل عبرة يا أولي الألباب.



نشر في يوم السبت ١٣ ربيع الأول ١٤٣١. ٢٧ فبراير ٢٠١٠

سليمان الخطاف..البتروكيمياوي الأخير

عندما تتصفح الصحف السعودية، لن تعثر سوى على كاتب محلي يتيم متخصص في التكرير والبتروكيماويات. فتنحدر الأسئلة من رأسك، وتتنهد بعمق قائلا: كيف نصنع أكثر من بتروكيماوي سعودي في بلد مزدحم بالطاقة؟.

يقول الدكتور سليمان بن صالح الخطاف (٣٧ عاماً)، مدير مركز التكرير والبتروكيماويات في معهد البحوث في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، إن اكتشاف الموهوبين مبكرا وترغيبهم ودعمهم معنويا ونفسيا سيسهم في ولعهم بالتخصص، مستشهدا: «أنت تستطيع جلب الحصان للنهر ولكن لا تستطيع إرغامه على الشرب». يعترف الدكتور الخطاف، المنحدر من بريدة، الذي ولد ونشأ

ودرس في مدارس الرياض، بأنه لم يحدد وجهته الجامعية في أثناء المراحل الدراسية المبكرة، لكن عشقه للكيمياء دفعه للتسجيل في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن متخصصا في الهندسة الكيميائية التي كاد أن يغادرها يوما ما. يتذكر الدكتور الخطاف: «بعد أن اجتزت عامي الأول في جامعة الملك فهد، شعرت بهلع شديد من المستقبل، كوني مقبلاً على مواد متقدمة في الرسم الهندسي وأنا لا أفضله، ما دفعني إلى التسجيل في كلية الطب في جامعة الملك فيصل في الدمام، التي قبلتني مباشرة، لكن عدت أدراجي بعد أن شعرت بأني سأخسر ساعات ثمينة اجتزتها». ويدين الكاتب المتخصص في التكرير والبتروكيماويات بالفضل بعد الله لأساتذته في جامعة الملك فهد الذين ساعدوه على متابعة مشواره الأكاديمي بتفوق بعد أن أزالوا كل العراقيل التي واجهته.

وفي غضون ٤ سنوات ونصف السنة فقط استطاع الخطاف أن يتخرج في الجامعة. ثم ابتعث إلى اليابان لدراسة الماجستير، متخصصا في «التكسير الحفزي في صناعة التكرير». وقد أتاحت له الدراسة في اليابان فرصة الاطلاع عن كثب على التقنية اليابانية وثقافة الشرق الأقصى التي أضافت لتجربتيه العلمية والبحثية الشيء الكثير.

وتابع الخطاف دراسة الدكتوراه في جامعة «ويسترن أوتاريو» الكندية في مجال تكرير النفط، وكانت محطة ذهبية له، فبالإضافة إلى الفوائد الأكاديمية التي حازها فقد شرعت له أبواب الكتابة في المطبوعات الدولية الدورية المتخصصة، التي صقلت موهبتيه الكتابية والبحثية. ولا يغفل الدكتور الخطاف تجربتين في مشواره العملي إحداهما العمل في منظمة أوبك خلال شهر يونيو الماضي: «كانت تجربة زاخرة، اطلعت على تجارب وتقنيات متعددة في العمل، واحتككت بمتخصصين متميزين، إضافة إلى الاستفادة من قاعدة البيانات الهائلة للمنظمة وآليات العمل والتسويق».

كما يعتز بزيارة بحثية قام بها لأرامكو السعودية عام ٢٠٠٣م «وفرت لي الشركة كل ما من شأنه تسهيل مهمتي، فقد زرت مصفاة جدة، والتقيت العديد من المهندسين الذين تعاونوا معي بشكل منقطعٍ النظير». يقول الدكتور الخطاف إن لدى الشباب في السعودية فرصاً كثيرة للتحليق والتميز، لكن يبقى دور من يستثمرها.

وعندما وجهت سؤالي إلى الزميل أنيس القديحي، المراسل الاقتصادي في «داو جونز وايرز»- وهي وكالة إخبارية، مملوكة للمنظمة الإخبارية العملاقة التي يمتلكها داو جونز، التي تأسست عام ١٨٨٢م، وترسل تقاريرها إلى أكثر من ٤٢٠ ألف

مشترك حول العالم (حسب إحصائية أعلنت في يوليو ٢٠٠٥م) حول سبب عدم وجود صحفيين متخصصين في البتروكيماويات والتكرير في السعودية أجابني قائلا: «لأننا لا نؤمن بالتخصص». ثم عاد وسألني: «التفت حولك، هل نملك متخصصين في السياسة، والتأمين، والمصرفية الإسلامية وغيرها؟».

وقال القديحي إن الإعلام يعكس واقعاً علينا تغييره، يتمثل في ضرورة تغيير القوالب والأنماط المكررة التي نعيد استهلاكها وإنتاجها يوميا في المشهد المحلي، مؤكدا أن التخصص ضرورة ملحة تتطلب وقفة جادة من مؤسسات التعليم والمؤسسات الصحفية التي ينبغي أن تضطلع بدور أكبر في تنمية كوادرها.

واستشهد مراسل «داو جونز» في السعودية بالتغييرات المتسارعة التي تقوم بها الوكالات الإخبارية في أساليبها بناء على المعطيات الحالية التي تفرضها استبيانات وأبحاث ودراسات دورية، حيث يقول القديحي: «إن الوكالة التي يعمل لمصلحتها، تقوم حاليا بترشيد اهتمامها باجتماعات أوبك، بعد أن تبين لها أن أثر الاجتماعات تقهقر وتراجع في تغيير الأسعار».

نشر في يوم الجمعة ٢٩ رمضان١٤٢٧ - ٢١ أكتوبر٢٠٠٦

سنوي شراحيلي..مضاد حيوي لليأس

عندما يضع الإحباط يده على كتفي، أهرب، أسافر باتجاه ذاكرتي، وعلى وجه التحديد إلى سيرة رفيقي السابق في الجامعة، سنوي شراحيلي، ٣٦ عاماً، الذي يطرد يأسي بعكازيه وعينيه المملوءتين بالطموح والأمل.

بدأت معاناة سنوي قبل أن يكمل عامه الأول عندما أصيب بالحمى الشوكية التي التهمت طرفيه السفليين نتيجة عدم توافر الخدمات والتوعية الصحية في قرية الخقاقة التابعة لمحافظة الحرث في منطقة جازان.

ظل حبيس منزله حتى سن الثامنة عندما ألح على أبيه أن يسجله في المدرسة كأقرانه الذين كانوا يركضون حوله بمعية دفاترهم وأقلامهم، بينما يذرف الدمع والألم والحسرة. انصاع

والده لرغبه ابنه فحمله في حضنه وامتطى حماره إلى مدرسة الجابري الابتدائية.

استقبلته المدرسة بحفاوة بالغة جعلته يأتيها حبوا رغم أنها تبعد نحو كيلو ونصف عن بيته.

فوجئ مدير المدرسة آنذاك، الفلسطيني سالم أبوطيور مع نهاية عامه الدراسي الأول من نتائج سنوي الدراسية، التي عكست نبوغه وتفوقه الكبيرين، ما دفعه إلى أن يسأله أن يحضر والده معه في صباح الغد. استقبل المدير والد سنوي بجملة قال فيها: «إن لم تعالج ابنك، دعني أقوم بذلك». فأجاب والدموع تنحدر من عينيه قائلا باللهجة الجيزانية المحلية: «دلني على أي مكان يعالج ابني وسأطير له ولو في (مجامد اماء)؛ «أي في المحيط المتجمد. لم تمر ساعات قصيرة على حوارهما حتى طارا مع سنوي بسيارة مدير المدرسة إلى مدينة جازان، العاصمة الإدارية لمنطقة جازان، عبر الطرق الترابية الشائكة التي لم تعرف التمهيد ولا السفلتة حتى اللحظة. وصلوا إلى مستشفى جازان العام بعد رحلة طويلة استغرقت زهاء الساعتين كادت أن تودي بحياتهم إثر خشونة الطريق والأودية الطارئة. انتقل من مستشفى جازان إلى مستشفى الخصاوية بالقرب من صبيا بعد إجراء الفحوص الطبية. وأجرى هناك

عمليتين في الركبتين وأخرى في الورك اليسرى لفك ارتباط الأعصاب وإعادة الرجلين لاستقامتهما.

مكث نحو ثلاثة أشهر مستلقيا على السرير الأبيض وسط جبس يغمره من أخمص قدميه إلى صدره. يقول: «كان والدي وشقيقي عبده يتناوبان على حملي والعناية بي طوال تلك الفترة كالرضيع تماما». عاد إلى مدرسته بعد أن قام بتفصيل جهاز تعويضي في مركز التأهيل الطبي في الرياض مستندا إلى عكازين ناحلين. ولم ينسَ سنوي كيف كان معلموه يتسابقون لاصطحابه إلى المدرسة وقتئذ. كما لم يغب عن ذاكرته ما قام به زميله يحيى حسن الكعبي وسائق سيارة النقل حسن شوك الهزازي؛ حيث كانا يحملانه بذراعيهما عندما تقادم جهازه التعويضي إثر عدم توفر صيانة له في منطقته حينها.

تعلم قيادة السيارة بمفرده رغم معارضة والديه. كانت جملة عمته صالحة بنت جابر شراحيلي تحلق فوق رأسه كلما ارتطم باحتجاجات أمه وأبيه. فقد كانت تقول له : «دعوه يتعلم فلن تظلا معه إلى الأبد».

انتقل إلى أبها لدراسة إدارة الأعمال في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، تاركا خلفه كل النصائح التي انهالت عليه

من أقاربه للدراسة في كلية المعلمين في جازان ليكون قريبا منهم. يبرر: «لا أقبل أن أدع الإعاقة تحد من طموحي».

في فصله الدراسي الأخير في الجامعة في عام ١٩٩٣م تزوج إحدى قريباته دون أن يلتفت إلى اقتراحات عديدة تلقاها ليتزوج من الخارج «كما يفعل بعض المعاقين» على حد تعبيره. يبوح: «لم يكن سهلا أن أرتبط بفتاة طبيعية. لكن الفضل لله ثم لشقيق زوجتي الأكبر المهندس أحمد شراحيلي».

احتفل مع زوجته بعد أسابيع قليلة من ارتباطهما بتخرجه وتفوقه؛ حيث كان الأول على دفعته، ما جعله يتسلم شهادته من شخص أحب شعره وفكره هو الأمير خالد الفيصل.

عمل في البنك الأهلي في مستهل حياته العملية، ثم تقدم لديوان الخدمة المدنية للحصول على فرصة العمل كمعلم للعلوم الإدارية في وزارة التربية والتعليم في عام ١٩٩٨م، وفي أثناء خوضه اختبار المفاضلة مر عليه أحد المشرفين وهمس في أذنه قائلا: «لن تصبح معلما لو حصلت على ٢٠٠ من ١٠٠. سأضع في الحقل المخصص أنك غير لائق صحيا». حينها أمطر ورقة إجابته بدموعه، وصدره بألمه، لكن ذلك الموقف أتاح له فرصة لقاء الأمين العام للتربية الخاصة الدكتور ناصر

علي الموسى الذي فتح له قلبه والأبواب ليصبح معلما رغم العراقيل التي شيدت أمامه.

لم يقف طموحه عند هذا الحد، ففور مباشرته التدريس لاح طيف متابعته للدراسة في الخارج في ذهنه. استأنس برأي الدكتور محمد الطريقي، المشرف العام على مركز الأطراف الاصطناعية، الذي كان يتردد عليه فشجعه بشدة وحثه على عدم التراجع عن حلمه مهما كان السبب.

وبعد محاولات مستميتة استطاع في عام ١٩٩٩م أن يحصل على منحة دراسية للدراسة في أمريكا. يتذكر: «كانت البعثات محدودة جدا والحصول عليها أقرب إلى المستحيل لشخص من دون قدمين». ولا ينسى دور مدير مكتب وزير التعليم العالي موسى السليم في حصوله على البعثة، عندما منحه فرصة مقابلة الوزير التي كان لها أبلغ الأثر في ابتعاثه.

ذهب إلى أمريكا برفقة زوجته وأطفاله الثلاثة: نايف، ونادر، وناصر بعد أن حصل على إجازة من دون راتب من وظيفته. عاش في الولايات المتحدة حياة هانئة، لا يعكر صفوها أي شيء، فذوو الاحتياجات الخاصة يحصلون على امتيازات ومرافق وتجهيزات تجعلهم ينطلقون دون أدنى مشاكل. وقد

أسفرت هذه الظروف عن حصوله على الماجستير بمرتبة الشرف من جامعة كلورادو في تقنية المعلومات.

يقول عنه أستاذ مادة الإحصاء في جامعة كلورادو الدكتور جيمس بيلك: «لدى سنوي شهية مفتوحة للتعلم والتطوير تجعله يفوز على منافسيه في أي سباق يخوضه».

هذه الشهية دعته إلى البدء في برنامج الدكتوراه في جامعة نوفا ساوث إيسترن في فلوريدا في تخصص تحليل الصراعات والقرارات التي أنجز منها ٣٠ ساعة، لكنه لم يكمل مشواره بسبب عدم السماح له بدخول أمريكا بعد عودته من إجازة قضاها في مسقط رأسه في السادس من سبتمبر عام ٢٠٠٦م. يقول: «فوجئت بموظف إدارة الهجرة في مطار (جي إف كي) يطلب مني وأفراد عائلتي العودة إلى المملكة رغم سريان مفعول تأشيرتي دون أن يخبرني عن السبب».

وقد أسهمت علاقاته الجيدة مع زملائه وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة في تدخل عميد الكلية التي يدرس فيها، الدكتور مارك هايزر في قضيته التي يأمل أن تنفرج وشيكا.

لم يدع سنوي القلق الذي يعيشه يجره إلى الإحباط أو اليأس، بل دفعه إلى المزيد من المثابرة التي منحته فرصة

العمل محاضرا في جامعة جازان «بدعم منقطع النظير من وكيل الجامعة الدكتور عبدالغفار بازهير، وعميد كلية المجتمع الدكتور سلطان الحازمي»، مما سيتيح له فرصة متابعة دراسته العليا.

ويشير سنوي إلى أنه سيظل يلاحق الفرص مهما فرت منه. وسيظل يحلم أن «يرى وزيرا سعوديا من ذوي الاحتياجات الخاصة يمثل دولة الإنسانية في المحافل الدولية».

نشر في يوم الجمعة ١ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ مايو ٢٠٠٧م

صالح الثبيتي وعبد الله المنقور..من أين لهما هذا؟

في تمام الساعة السادسة صباحاً بينما كانت الشمس تنهض من فراشها وعلى خدها أثر الوسادة، كان مراسل «العربية»، صالح الثبيتي (٢٧ عاماً) يتنقل بسخاء في رابغ (غرب السعودية) بين المركز الإعلامي وخيمة الاحتفال بانطلاق أعمال الإنشاء لمشروع «بترورابغ» بهدف بث تقرير ميداني مباشر من موقع الحدث.

القلق الذي بدا من المكالمات الغفيرة التي يجريها الثبيتي مع مكاتب القناة الرئيسة في دبي لم ينتزع ابتسامته الدائمة التي يوزعها على زملائه الصحفيين المنتشرين حوله.

بعد ٦ ساعات تماما، انتقل صالح إلى الهواء، بينما انتقل القلق إلى أوردتنا، ودارت رحى الأسئلة بتسارع في أعماقنا، هل

سينجح صالح؟ كيف سينطق اسم شركة سوميتومو كيميكال اليابانية-شريك أرامكو السعودية في المشروع-؟ أما كان يجب أن ندربه على إلقائها على مسامعنا غير مرة قبل أن يلتفع الهواء؟ قبل أن ننخرط في المزيد من الأسئلة انتهى الثبيتي من تقريره المقتضب بنجاح ظهر جليا عبر ابتسامته المدوية والتهاني التي تبادلها مع مصور «العربية».

صالح، الحاصل على بكالوريوس في «الأحياء» من جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، لم يجد الطريق مفروشا بالأزهار أمامه قبل الالتحاق بـ «العربية»، فقد سبق أن عمل في قناة «عين» التابعة لشبكة «آيه آر تي» مقدما لبرنامج «فرسان التغيير» مع خبير التدريب وتطوير الشخصية، الدكتور علي شراب لمدة ٦ أشهر دون أن يحصل على أي مبلغ مالي إزاء دوره، فضلا عن عدم ظهور اسمه في البرنامج. رغم ما تكبده دون مقابل مادي في سبيل البرنامج الذي يستغرق ساعة كاملة، ويصور بطريقة لايف شوتينج-يبث مسجلا، لكنه يصور مرة واحدة كأنه مباشر- إلا أنه سعيد بتجربته التي تعرف من خلالها على الكاميرا وأساسيات العمل التلفزيوني الذي يهواه.

التحق بعد ذلك بقناة «اقرأ» متعاونا لمدة عام كامل، حصل على دورة للمذيعين ثم قدم تقارير سياحية عدة من من دول

مختلفة، فضلا عن برنامج «عالم الثقافة» الذي يتناول قضايا أدبية متفرقة.

وكانت تراوح مكافأته على التقرير الذي يقدمه بين ٢٥٠ إلى ٥٠٠ ريال سعودي، يتقاضها كل ٤ أشهر. لم تمنع الثبيتي المكافأة «الزهيدة» التي يحصل عليها من تقديم استقالته من عمله الرئيس في أحد مراكز التدريب الخاصة في جدة.

يقول الثبيتي: «كان يجب أن أخاطر وأركز على هدف واحد».

حاول صالح التفرغ مذيعا في «اقرأ» بعد تجربة استغرقت نحو ١٢ شهرا متعاونا، لكن دون جدوى إثر تذرع الإدارة بميزانية القناة وعدم وجود وظائف رسمية للمذيعين.

تفرغ بعد ذلك بصعوبة بالغة في القناة على وظيفة مسؤول تسويق، شريطة ألا يظهر على الشاشة إلا لماما، ما أدى إلى ترحيبه بعرض «العربية» التي انضم إليها مراسلا في جدة منذ ١٨ شهرا.

وقدم منذ ذلك الحين تقارير ميدانية جديرة بالإشارة، من بينها القصة التي أذاعها حول ٢٢٨ مواطنا قرغيِّزياً وصلوا للسعودية لأداء مناسك الحج بعد مرور ٤٥ يوما من انتهاء موسمه، نتيجة تعرضهم لعملية احتيال من قبل أحد متعهدي رحلات الحج في بلادهم.

وحصل صالح أخيراً على دورة في «العربية» في دبي تتعلق بالتصوير والمونتاج الذاتي قدمها متخصصون ألمانيون، حيث بات قادرا على التصوير والمونتاج دون حاجة إلى تقنيين.

يقول الثبيتي الذي أمسك بالنجاح أخيراً، إنه لم يلمس أحلامه الصغيرة إلا عندما تجرد من الاستعجال وأخمد الشخص غير الصبور النشط في داخله.

مراسل «الإخبارية»، عبدالله المنقور(٢٤ عاماً) هو الآخر تجربة جديرة بالاهتمام، فهو رغم حداثة تجربته على الشاشة التي لم تتجاوز ٤ أشهر، إلا أنه أنجز خلالها نحو ٢٥ تقريرا ميدانيا في مدن سعودية عدة. المنقور الذي يتكبد وعثاء السفر في سبيل تقاريره لا يستطيع إخفاء السعادة التي تفوح من وجهه وصوته كلما رأيته وسمعته.

يفسر السعادة التي تطوف حوله قائلاً: «لأني أقوم بعمل أحبه».

عبدالله، الحاصل على بكالوريوس في المحاسبة، من قسم الاقتصاد والعلوم الإدارية في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لم يهطل على الشاشة بمنطاد بل عبر عمل مبكر بدأ عندما كان في الثانية عشرة من عمره، وهو في الصف السادس الابتدائي؛ حيث قام بتقديم ثلاثة برامج للأطفال لمصلحة القناة الأولى السعودية: «هذه مهنتي»، «عالم الصغار» مع المخرج

ناصر الهذيل، و«صناعتنا» مع المخرج محمد البداح، إضافة إلى مشاركته في برنامج مسابقات للإعلامي بدر العبدان.

وعندما بلغ (١٥ عاماً) عمل المنقور في مجلة «الجيل الجديد»، الموجهة للأطفال التي أجرى فيها تحقيقات عن المكتبات العامة ومواهب الأطفال التي مازال يحتفظ بها في أدراجه إلى هذه اللحظة.

تلك البدايات المبكرة لعبدالله غرست في ذهنه أنه سيكون مذيعا وصحافيا في المستقبل، ما جعله لا يتردد لحظة واحدة في قبول عرض زميله مراسل «الإخبارية»، ياسر الزهراني عندما دعاه إلى العمل متعاونا مع فريق النشرة الاقتصادية.

فقد عمل محررا صحفيا لمدة ٩ أشهر قبل أن ينتقل إلى أمام الكاميرا بعد أن شعرت إدارة القناة بحاجتها إلى إمكاناته.

المنقور الذي مضى على تخرجه في الجامعة فصل واحد لا ينزعج من تأخر راتبه ٣ أشهر - يبلغ ٣ آلاف ريال سعودي -، مشيرا إلى أن : «من يبحث عن المال في التلفزيون لن يجده».

نشر في يوم الجمعة ١ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ مايو ٢٠٠٧م

عادل الطريفي..رب ضارة نافعة

في عام ١٩٩٧م تعرض عادل زيد الطريفي (٢٩ عاما) لحادث سير دخل على إثره في غيبوبة لمدة ٣٣٦ ساعة. خرج منه مضرجا بآلامه. وتهشم حلم والديه المتمثل في مواصلته دراسة الطب التي بدأها. فلم يعد بوسعه أن يكون طبيباً جراحاً كما كانا يتمنيان. أصبح لا يستطيع الاعتماد على يده اليسرى، ولا الوقوف طويلا لإجراء عملية. رقد في الفراش ١٢ شهراً صرفها في قراءة كتب الفلسفة والسياسة، ومشاهدة والديه وهما يتجرعان الحزن.

استأنف الدراسة متخصصا في الهندسة الطبية في جامعة الملك سعود في الرياض بعد أن استطاع أن يتحرك بمساعدة العكازين. واتجه للكتابة ليروض الآلام التي اجتاحت

أطرافه. استهل مشواره مع الحرف مع صحيفة «المحايد» التي كان يقودها وقتئذ الزميل عبدالعزيز الخضر. ثم انتقل إلى الكتابة في صحيفة «الوطن» عام ٢٠٠٢. فقد أرسل مقالا عن العمليات الاستشهادية إلى صفحة (نقاشات)، وفوجئ بنشره في صفحة الرأي بعد أن نال إعجاب محرر الصفحة الدينية آنذاك، الزميل منصور النقيدان، ونائب رئيس التحرير السابق الدكتور عثمان الصيني. واصل كتابته في «الوطن» حتى حصل على مقعد أسبوعي في صفحة الرأي متخصصا في السياسة الإقليمية إلى عام ٢٠٠٥. ولفتت مقالاته السياسية التلفزيونات التي استضافته معلقا ومحللا.

يتذكر ظهوره الأول في التلفزيون السعودي: «صُدم معد البرنامج عندما شاهدني، وسألني كم عمرك؟». فلم يكن يتوقع أن ضيفه غض طري في مطلع العشرينيات كون صحيفة «الوطن» لا تنشر صور الكتاب مع مقالاتهم. يقول عادل: «كاد يطردني المعد من الأستوديو، لكن موعد البرنامج أزف ولا يوجد بديل». ظهوره التلفزيوني الموفق جعله ضيفا مفضلا للعديد من القنوات الفضائية العربية.

نجاحه الكتابي والتلفزيوني عزز قناعاته المبكرة بضرورة التركيز على السياسة في دراسته العليا. عندما تخرج من

جامعة الملك سعود التحق بشركة سيمنس الألمانية للتدريب والعمل. وفي عام ٢٠٠٦ حصل على منحة بحثية مقدمة من برنامج شيفيننج للزمالة. وفي عام ٢٠٠٧ حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة كينجستون يونيفرستي لندن. ويدرس حاليا الدكتوراه في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، متخصصا في محاور القوى بعد سقوط بغداد: التحالفات والنزاعات في الشرق الأوسط.

متابعته لدراسته العليا لم تدعه يغيب عن الإعلام، بل ازداد توهجا. فبات اسما مألوفا في الإعلام الغربي؛ حيث تظهر تحليلاته السياسية على صفحات جريدة النيويورك تايمز، والواشنطن بوست، والكريستاينس ساينس مونيتور، ولوس أنجلس تايمز. كما له كتابات منشورة في صحف كـ «الدي-تزايت الألمانية، وتقرير سيفيلتي للشؤون السياسية، ومجلة بيتر- ليمن إنترناشونال».

ولم يغب أيضا عن الوطن إذ ظل حاضرا عبر مقالة أسبوعية في صحيفة «الرياض»، وحضور دائم على قناة «العربية» معلقا ومحللا.

ويدين عادل بالفضل لوالديه في نجاحه إعلاميا. فقد يكون نائما فتحدث أزمة سياسية، أو عملية حربية ثم توقظه أمه لتطلعه على الخبر. أبوه وأمه هما أحد مصادره، حينما لا يكون بجوار التلفزيون أو الإنترنت. كما يعده ناقديه الأولين. فبعد كل تعليق تلفزيوني يظهر فيه يقدمان له قائمة بالأخطاء التي اقترفها. كم مرة قال (آآآه). وكم مرة كرر كلمة محددة بتبذير. أصبحا يثقفان نفسيهما في القضايا السياسية من أجله. إنه ممتن لهما بشدة. كما هو ممتن لمكتبة خاله، جابر الفهيد التي شرعها له ليسبح فيها.

ولم يخفِ الطريفي تأثره المبكر بكتب توفيق الواعي، ومحمد قطب. يبرر: «لم تكن أمامنا خيارات كثيرة حينذاك». عدم توافر الخيارات يؤرق عادل ويقلقه يقول: «الأسر ترغب في أن يكون أبناؤها مهندسين أو أطباء، ولا يرحبون بأن يجرب ابنهم أو ابنتهم شيئا جديدا». فيضيع الكثير من المواهب في تخصصات لا تبتغيها!

عادل نفسه، كاد يصبح طبيبا وكنا سنفتقده كاتبا ومعلقا. الحادث الذي تعرض له هو الذي منحه الفرصة للقراءة المتعمقة والكتابة.

علينا أن نسبر أغوار أبنائنا، وننقب عن مواهبهم وإبداعاتهم المدفوعة حتى يصبح لدينا أكثر من باحث يقظ، وأكثر من سياسي بارع. قطعا، نحتاج آلاف الأطباء والمهندسين، ولكن أيضا نحن في حاجة إلى الكثير من الكتاب والباحثين الموهوبين.

عادل أمنية كل أم، وكل أب. فهو كاتب مشوق، ومعلق واعد.

كلما شاهدته على الشاشة، التصقت بها؛ لأتصفح رؤيته الذكية وعينيه الغائرتين.

ربما لا يستطيع عادل أن يقف على قدميه طويلا، لكنه يستطيع أن يحلل كثيرا ويحلق بعيدا.

نشر في يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م

عبدالرحمن القحطاني.. الباحث عن اللذة

التقيت عبدالرحمن محمد القحطاني لأول مرة في كلية العمارة والتخطيط في جامعة الملك فيصل في الدمام عام ١٩٩٦. كان يأكل أصابعه بشراهة حتى يكاد ينتزعها من يديه. كان يحضر الجامعة ناقصا. جسده بيننا في حين عقله يتنزه في مكان آخر. يجيء متأخراً وأحيانا لا يجيء. في الاختبارات كان ينتهي قبل الجميع. ونفاجأ في كل مرة أنه يحصل على أعلى درجة. كان لا ينقصه سوى الانتظام ليتصدر دفعته. فمن يراقبه وقتئذ سيجزم بأنه تائه في مطار. لا يعلم متى ستقلع الطائرة وإلى أين؟! حينما مرض في عامه الثاني، واضطر إلى طي قيده في الجامعة والعودة إلى أبها مؤقتا، سألته: لماذا لا تعير الجامعة اهتمامك؟ فرد علي باقتضاب قائلا: «أخي منصور». فشقيقه فرض عليه البقاء في جامعة الملك فيصل.

فحينما لوح عبدالرحمن بمغادرتها قال له شقيقه الأكبر بصريح العبارة: «لو فصلت من الجامعة فلن تدخل بيتنا أبداً». لم تكن تعني الجامعة لعبد الرحمن أي شيء سوى أنها مدعاة للضجر ووسيلة للبقاء متصلا مع شقيقه وأسرته؛ إذ لم يشعر بأي ارتباط بها وأساتذتها. كان يشعر أن اليوم يمر بطيئا ممضا داخل قاعاتها. حاول أن يلتحق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران والخطوط السعودية خلال وجوده في جامعة الملك فيصل، بيد أنه لم ينجح، ما جعله يمرض مرضا طويلا ألزمه الفراش نحو ثلاثة أشهر. تخرج في الجامعة بأقل مجهود ممكن. كان يرسم لوحاته بقدمه. كان يحل واجباته راجلا وهو قادم للمحاضرة!

حصوله على شهادة بكالوريوس في العمارة لم يبهجه، فلم يحضر حفل التخرج، ولم يكافئ نفسه بإجازة قصيرة أو حتى بابتسامة. فور أن حصل على وثيقة التخرج طرق كل الأبواب بحثا عن وظيفة، ولم يفتح له الباب سوى شركة شلمبرجير، فتم تعيينه على وظيفة رسام وليس مهندس أو معماري كزملائه. وافق على العرض دون تردد. وبعد شهور قليلة من انضمامه إلى شلمبرجير لفت الأنظار بالتزامه ومهاراته المختلفة سواء في الرسم والالتزام والعمليات الحسابية. استثمر عبدالرحمن

إعجاب رؤسائه المبكر وعرض عليهم رغبته الدفينة في دراسة البكالوريوس من جديد عن طريق رعايتهم. لم تتردد الشركة في الموافقة على طلب عبدالرحمن، كونها شعرت بأن لديه مواصفات القيادي المرتقب. بعثت الشركة أوراقه ورغبته إلى جامعة الملك فهد على جناح السرعة. بعد فترة وجيزة حصل عبدالرحمن على القبول ليبدأ الدراسة مع العام الدراسي ٢٠٠٢. رغم الفرح الغفير الذي سكنه إلا أنه اختلط بقلق كونه متزوجاً حديثا ولا يعلم كيف سيوفق بين الثلاثة: الجامعة، والعمل، والزوجة. كان يخرج من منزله الساعة السابعة صباحا ولا يعود قبل الثامنة مساء طوال أربع سنوات. كان يذهب إلى عمله خلال الاستراحات بين المحاضرات. وكان يأكل طعامه في السيارة. ورغم الضغط الشديد والإرهاق إلا أنه كان يشعر بسعادة كبيرة. فزوجته كانت تعمل هي الأخرى صباحا في المدرسة، ومساء تلتحق بدورات تقنية.

ولم يكترث عبدالرحمن بالأصوات المناوئة التي تحيطه على شاكلة: «أأنت مجنون. كيف تدرس بكالوريوس من جديد؟» لأنه يشعر بلذة آنذاك لا يمكن أن يصفها في كلمات. هذه اللذة والمتعة التي شعر بها عبدالرحمن عندما درس في جامعة يفضلها وتخصص يبتغيه انعكست على أدائه ومعنوياته.

انعكست على مستقبله. فعبد الرحمن (٣١ عاما) يعمل حاليا كبيراً لمهندسي التكاليف في شركة معـادن، ويشرف على مشاريع مهمة، والأهم من ذلك أنه يبتسم وسعيد.

نشر في يوم السبت ٨ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ الموافق ٤ أبريل ٢٠٠٩م

عبدالعزيز الغامدي..سعودي في البحرين

عندما أخلو من الفرح، استعير وجه عبدالعزيز محمد الغامدي في ذاكرتي لأبتهج.

عبدالعزيز ليس موبوءًا بالعزيمة فحسب، بل بالأحلام التي تجعل منه كائنا لا يقنط، ولا يذوي.

وقد بدأ حياته العملية باكرا قبل أن يكمل العشرين عاما عندما التحق بشركة أرامكو السعودية عام ١٩٩٠. عمله المبكر وشح فرص استكمال الدراسة وقتئذ لم يحرمه من متابعة طموحاته الأكاديمية. فقبل أن يكمل ١٢ سنة خدمة في شركته انضم إلى برنامج الدراسة المسائي في جامعة البحرين الحكومية متخصصا في الإعلام والعلاقات العامة وتحديدا في عام ٢٠٠٢.

كان يذهب إلى البحرين مساءً ٤ مرات في الأسبوع. يبدأ دوامه الجامعي في تمام الساعة الخامسة وينتهي عند التاسعة والربع. في حين يصل إلى منزله في الدمام عند العاشرة والنصف في أحسن الظروف. ويظل يقظا لتأدية فروضه الدراسية حتى ساعة متأخرة. يقول عبدالعزيز: «كانت تجربة صعبة. لاسيما وأن دوامي في الشركة يبدأ في تمام الساعة السابعة صباحا».

لم يستسلم عبدالعزيز لسطوة الدوامين وقسوتهما؛ إذ برع في كليهما، فقد ظل يحقق إنجازاته العملية، في حين كان يواصل تفوقه الدراسي الذي تكلل بتخرجه بمرتبة الشرف في يونيو الماضي.

وقد أسهم في تفوقه في العمل والدراسة تفهم رؤسائه وأساتذته لظروفه ودعمهم لموهبته وأحلامه.

كما لا يغفل دور زوجته وابنيه علي (٨ سنوات)، وخالد (٣ سنوات) في هذا النجاح، فقد كان يستمد طاقته من ابتساماتهم عندما يلتقطها في نهاية الأسبوع، ويحتفظ بها طازجة في مخيلته طوال الأسبوع.

ونجاح عبدالعزيز لا يقتصر على كونه تفوق على نفسه ونجح بتفوق من الجامعة فحسب؛ بل لأنه استطاع أن يصقل موهبته الصحفية ويقدم نفسه كصحفي جدير بالمتابعة، بالإضافة إلى أنه جمع الحسنيين، الشهادة والموهبة. وقد أنشأ مدونة

شخصية له بعنوان «سعودي في البحرين» تخرج منها بضجر، متمنيا لو أنه زاد رصيدها من التقارير والمقالات والانطباعات التي سجلها بجرأة وشفافية ومحبة.

عبدالعزيز يدين لجامعة البحرين كثيرا في تنميته مهنيا، ولاسيما برنامج الرحلات العلمية الذي أرسله وزملاءه إلى فرنسا وتونس ومصر والأردن.

كان عبدالعزيز ورفاقه يجوبون الشوارع ويقومون بإجراء التحقيقات واللقاءات الميدانية التي أثرت تجربتهم، وحولت ما درسوه إلى واقع ملموس.

تلك التجربة توقف عندها عبدالعزيز طويلا؛ لأنها حولته من متفرج وقارئ إلى لاعب حقيقي خلاف ما يحدث في جامعاتنا المحلية التي تسرف وتبذر في المواد النظرية على حساب التطبيق الميداني، ما خرج أجيالا من كليات الإعلام لا تجيد الصحافة بقدر إجادتها للحفظ والقنوط.

يتذكر عبدالعزيز عندما ذهب إلى فرنسا لتغطية الانتخابات الفرنسية، واستقر به المقام في المقر الانتخابي للمرشح الرئاسي السابق جوزيه بوفيه: «كانت تجربة عظيمة. رائحتها مازالت عالقة في ملابسي ورأسي».

وأيضا لم ينس عبدالعزيز أن يشير إلى التنسيق اللافت الذي قامت به جامعة البحرين قبل سفره ورفاقه؛ حيث التقوا سفراء تلك الدول المعتمدين لدى مملكة البحرين، وحصلوا على كل الإجابات التي تقطن رؤوسهم حيال الدول التي سييممون وجوههم شطرها.

عبدالعزيز سيبدأ في سبتمبر المقبل دراسة الماجستير في جامعة البحرين في العلوم الإعلامية، مؤكدا أنه في بداية طريقه المهني والأكاديمي. يقول: «مازال المشوار في مستهله».

عبدالعزيز الغامدي أو «سعودي في البحرين» كما يناديه زوار مدونته الشخصية على الشبكة العنكبوتية، أثبت أنه ليس كل السعوديين يتجرعون السهر في شوارع البحرين، بل فيهم أعداد كبيرة وهائلة تدرس في جامعات المملكة الشقيقة وتقدم صورا مشرقة ومزدهرة.

ولا يسعني سوى أن أهنئنا بأصابع عبدالعزيز التي تشبه الأجنحة، فهي تصعد وتحلق عندما تتحرك، وترقص.

نشر في يوم الجمعة ١٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٢١ديسمبر ٢٠٠٧م

فاطمة الجفري.. خالتي التي لا تقرب لي

فاطمة الجفري تكتب برئتها، وتتنفس من أصابعها.

اكتشفتها لأول مرة في عدد (يوليو/ أغسطس) عام ٢٠٠٦ في مجلة القافلة، وهي تقرأ رواية جودي بيكولت «حافظة أختي».

لغتها عذبة. جملها كانت قصيرة ومفخخة. وسردها حافل بالخير.

عندما سألت رئيس تحرير القافلة الزميل محمد العصيمي عنها اكتفى بقوله إنها «مفاجأة سارة حملها بريد قراء المجلة».

كميل حوا، الذي يحمل أصابع من يشاهدها يعلم أنه سيذهب ليرسم أو يكتب قصيدة بها، يناديها بـ «خالتي» رغم أنها بعمر ابنته ولم تنجبها شقيقة أمه.

فاطمة أكبر مضللة للقارئ، عندما تقرأ لها ستحسبها تسبح في بحر الستين، في حين لا يتجاوز عمرها ٢٥ عاما.

كل مرة أقرأ لها نصا كتبته أو ترجمته أدعو لوالديها العم محمد وحرمه متضرعا: «اللهم ازرع في وجهيهما ابتسامة لا تذبل، وفي جوفهما فرحا لا ينام»؛ لأنهما أنجبا هذه السيدة الصغيرة التي تحمل بين ضلوعها موهبة لا تقدر بثمن.

فاطمة ليس لديها أصابع دافئة فحسب بل لديها أب دافئ وحنون، يغمرك بحبه قبل أن يعرفك. هذا الأب الذي سمعت صوته ثلاثا يذكرني بصوت جدي الذي تتدفق معه رائحة الهيل والنعناع.

العم محمد لا أعلم عنه إلا أنه والد فاطمة، ويعمل في مركز المعلومات في صحيفة عكاظ، لكن أؤمن أنه يمتلك خصال أبي. يدخل المنزل عصر كل يوم متأبطا سبع صحف، وأربعة أكياس خبز، وابتسامة موزعة على وجنتيه وثغره.

فاطمة لم تخطط أن تكون صحفية، بل خططت أن تصبح معلمة لذوي الاحتياجات الخاصة؛ حيث درست «تعليما خاصا» في كلية دار الحكمة، ولكن أصابعها ورطتها في الكتابة وصرفتها عن تحقيق حلمها في التدريس بعد أن غمرها والدها بالحروف.

أكثر ما يلفتني في فاطمة هو إخلاصها، فهي أنفقت أكثر من ٧٢

ساعة لترجمة فصل واحد من رواية بيكولت التي تطرح أسئلة شائكة تتعلق بتطوير التصميم الجيني ومتفرعات الهندسة الوراثية. هذه الرواية تحتاج إلى تركيز عال وتقنيات عديدة. اختيار المواضيع والإخلاص الذي ترتكبه فاطمة يسعدنا نحن -؛ معشر القراء - لأنه يأخذنا إلى التفاصيل التي ندير ظهرنا لها دائما.

بعض الصحفيين ينزحون للأسهل ويعيدون إنتاج المواد نفسها على نحو ممل ورتيب، على نحو يثير الذعر والحنق معا. لا يقرؤون سوى موادهم متناسين أن الصحفي الحقيقي هو الذي يقرأ ويقرأ ويقرأ دون أن يشبع.

فاطمة ليست كذلك، فهي مهووسة بالقراءة باللغتين. تجد فيها متعة حقيقية لا تجاريها أي متعة. فالقراءة أثرت مخزونها اللغوي والمعرفي، وزادت من رصيد محبيها وقرائها، وجعلتها أكثر وعيا بما يدور حولها.

وتعتني فاطمة بتقاريرها الصحفية كما تعتني الأم بأطفالها، تحممهم، وتطعمهم، وتهدهدهم فنحبهم.

تقول الصحفية سلوى صالح الجميل عن فاطمة التي تحبها ولم تلتقها قط: «حرفها يشرح صدري، ويحفزني كالأطفال تماما. لا تود أن تفارقهم، وتحن إليهم دائما».

لا تتعاطى فاطمة العمل الصحفي كمهنة بل كشغف وسلوك تلقائي، ما انعكس على أدائها وتطورها الملموس الذي يلحظه المتابع لما يخطه يراعها.

هي أيضا، لا تتحدث إلا لماما، كأنها أودعت لسانها في قلمها وأغلقت عليه وجعلته يتدفق حبرا.

يجب أن نحتفل بهذه النماذج المشرقة التي ترتدي الصمت ولا تستهويها الأضواء الساطعة والمثيرة. يجب ألا نكتفي بالتصفيق لها خلسة، بل أمام الملأ، كل الملأ. لا أعتقد أنكم ستعثرون عليها سريعا، لكن عندما ستكتشفونها لن تهدروها. أثق في ذلك.

فاطمة لم تدخل الصحافة بالواسطة، بل دخلتها من باب بريد القراء الواسع. هذا البريد الذي يكتنز في جيوبه أكثر من «خالتي فاطمة» لو أعرناه اهتمامنا وحواسنا.

نشر في يوم الجمعة ١٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ الموافق ٢١ديسمبر ٢٠٠٧م

فهد الأحمدي.. «اللي تغلب بو العب بو»

ارفع يدك إذا كنت تريد أن تصبح كاتبا ناجحا، لن أدعك ترفعها طويلا، فسيرة الزميل الكاتب المتألق فهد الأحمدي، ستقطفها وتجعلها تسبح على لوحة المفاتيح أو على أقرب ورقة أمامك.

ولد فهد عام ١٩٦٩، في المدينة المنورة في حي العطن الشعبي المناهز للمنطقة المركزية المحيطة بالمسجد النبوي الشريف. نشأ في منزل جدته لأمه التي تنتمي لأسرة الصقعبي التي تعود جذورها إلى منطقة القصيم (وسط السعودية)، ما دفع من حوله مبكرا إلى مناداته «فهد الصقعبي» إثر التصاقه بجدته وولعه بها.

عندما خرج إلى الشارع وجد نفسه بالقرب من موقف كبير للسيارات في الحي الذي يقطنه يدعى «موقف السبق»، الذي

كان محطة للحجاج والمعتمرين من أنحاء المعمورة كافة لالتقاط سيارات الأجرة قبل انتشار الحافلات.

فاختلط بالعديد من الجنسيات في سن مبكرة، فأصبح منفتحا مبكرا لا يستنكر، لا يشجب، بل يتأمل، ويصغي، ويكبر بسرعة.

احتكاكه بالعالم شجعه على العمل في محل لبيع الأدوات المنزلية يمتلكه عمه ووالده، الذي يعمل ممرضا، أمام المسجد النبوي. خطف في المحل كلمات وجملاً عديدة من شفاه الأجانب الذين يتقاطرون بوفرة إلى المحل. تردد الحجاج والمعتمرين إلى المنزل الذي يقطنه طور لغاته الأجنبية؛ حيث كانت العديد من الأسر في المدينة ومكة تؤجر غرفا في منازلها للقادمين من أصقاع العالم إثر عدم توفر فنادق وشقق تستوعبهم.

درس الابتدائية في مدرسة الشهداء الزاخرة بالتاريخ. أحب الكتب. واقتنى في سن العاشرة كتاب أدب الرحلات في التاريخ، ومذكرات هتلر. انتقل إلى متوسطة ابن خلدون، وفيها تعلق بالكتب أكثر، فانصرف عن المناهج. يبرر: «لم نلتق».

كانت المرحلة الثانوية مأهولة بالحيرة. ازداد ارتباطه بالكتاب، وابتعاده عن المناهج والمدرسة، فقد كان يضع كتاب

النحو وفي بطنه كتابا آخر احتيالا على أسرته. فطالما قال له أهله عندما يرونه وهو يقرأ: «ما شاء الله عليك. تذاكر طوال ٢٤ ساعة».

بعد المرحلة الثانوية دخل جامعات داخلية وخارجية عدة. درس في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة تخصصي الجيولوجيا، والحاسب الآلي دون أن يحصل على البكالوريوس. ثم حزم حقائبه وحلمه إلى جامعة هاملن في مانيسوتا الأمريكية. لم يكمل فيها أيضا. فقد كان يداوم في المكتبة.

قرر أن يغادر أمريكا ويعود إلى الوطن برفقة فكرة حالمة تهمس في أذنه قائلة: «ستجد وظائف عديدة دون شهادة. فأنت مثقف ومجتمعك في حاجة إليك».

لم تكن أكثر من مجرد فكرة حالمة، فالوطن لم يقدر موهبته وهو لا يحمل شهادات ووثائق، أيضا، والده كان مأهولا بخيبة الأمل، فهو يعتقد أن عودة ابنه بددت حلمه، وماله الذي أنفقه عليه، كونه لم يكن مبتعثا على حساب أي جهة. جلس فهد عاطلا عن العمل والفرح عامين وهما ٩٠ و٩١.

وخلال إحدى رحلاته المكوكية لجدة بحثا عن عمل، وهربا من حزن أبيه، والناس في المدينة المنورة الذين نهبوه أسئلة

عن مستقبله وحلمه، حط ركابه وأناخ قلقه في كافتيريا شعبية، استوقفته فيها جملة موجزة خلال حديث بين مصريين. فقد كان أحدهما يقول للآخر: «اللي تغلب بو العب بو». أي استثمر ما تفوز به. تلك العبارة دارت في رأسه طويلا حتى جعلته يتساءل قائلا: «ماذا لدي لأستثمره وأفوز من خلاله؟». لم يجد فهد غير المعلومات والثقافة التي اكتسبها من قراءة مئات الكتب والمقالات. خرج من الكافتيريا محاصرا بالعبارة السابقة والرغبة في ترجمتها من خلال بضاعته (الثقافة)، لكنه سأل نفسه مجددا: «من يشتري الثقافة والمعلومة؟».

لم يطل تفكيره. لاحت فكرة مراسلة الصحف في أفقه رغم أنه لم يفكر قبل ذلك في الكتابة. فلم تعبره هذه الفكرة أبدا قبل ذلك.

راسل الصحف السعودية لمدة عام ونصف دون أن يرد عليه أحد حتى رد عليه رئيس تحرير صحيفة المدينة وقتئذ، الأستاذ محمد حسني محجوب، وطلب مقابلته على ضوء الخطاب الذي بعثه والمقالات التي أرفقها معه. ومن فرط سعادة الأحمدي بالاتصال ذهب إلى جدة؛ حيث المركز الرئيس للصحيفة، في اليوم نفسه رغم أنه للتوقد عاد للمدينة المنورة. ويتذكر فهد أن الأستاذ محجوب لم يبدِ حماسة كبيرة لاستكتابه مباشرة. فقد

كان يحاول بلباقة كبيرة الاعتذار عن ضمه لقائمة المتعاونين مع الصحيفة، كونه جاء حديثا لصحيفة المدينة قادما من صحيفة عكاظ وفي حاجة إلى مزيد من الوقت قبل اتخاذ قرار بشأنه إثر الملفات الغفيرة التي تحيط به آنذاك. وخلال الاجتماع دخل الزميل الأستاذ جمال خاشقجي، الذي كان يعمل في المدينة وقتئذ، واستمع إلى جزء من الحوار بينهما قبل أن يقول للأستاذ محجوب: «لمَ لا نجربه؟» وبالفعل اقتنع رئيس تحرير المدينة بالفكرة وباركها.

وحينها بدأ فهد بكتابة زاوية يومية في المدينة بعنوان «حول العالم». يقول: «عملتُ مجانا لمدة ستة أشهر. لكن كنت سعيدا ومدينا للصحيفة التي فتحت صدرها لي».

وكانت أول مكافأة يحصل عليها من المدينة ألفي ريال. وارتفعت المكافأة مع مرور الوقت إلى ستة آلاف ريال. وكتب في المدينة كمتعاون لمدة ١٠ سنوات. وكانت مقالته تتكون من نحو ٥٠٠ كلمة.

في عام ٢٠٠٠ تلقى اتصالا هاتفيا من رئيس تحرير صحيفة الرياض، الأستاذ تركي السديري. وأبدى السديري خلال الاتصال رغبته في انتقاله إلى صحيفة الرياض، وأشار إلى أن

الصحيفة سوف تعطيه ضعف المكافأة التي يحصل عليها من المدينة رغم أنه لا يعرف حجمها، إيمانا بموهبته.

وقد نقل الزميل فهد العرض إلى الزملاء في المدينة، وانتظر إجابتهم لمدة ٤٠ يوما من «باب الوفاء» على حد قوله قبل أن ينقل أمتعته ومقالاته إلى صحيفة الرياض التي أصبح حاليا أحد عناصرها المهمة.

الأحمدي لا يملك شهادة دكتوراه، لكن يملك موهبة حقيقية، وتجربة مطرزة بالكفاح والفشل والشغف، جعلت مقالاته تستلقي على الصفحة الأخيرة لإحدى أهم الصحف المحلية في المملكة. فربما تحقق أنت وأنتِ النجاح ذاته أو أكثر من خلال المزيد من الإصرار والطموح.

نشر في يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ يونيو ٢٠٠٧م

قاسم فلاته..الهروب الجميل

من أسوأ عادات الطالب السعودي في الخارج هو حرصه على الإقامة في مبنى أو حي يمتلئ بأبناء جلدته. فمن يصل أولا يقوم بالتسويق والحجز لمن سيأتي لاحقا. وسرعان ما يكتظ المبنى والحي بالسعوديين وعوائلهم. ويتحول العديد من الشقق المتجاورة إلى ديوانيات للعب الورق، ومجالس للنساء.

يشير الدكتور قاسم محمد فلاته (٣٧ عاما)، الحاصل أخيراً على درجة الدكتوراه في تخصص الهندسة واللدائن والخلائط المعدنية، في جامعة «نيوكاسل» في المملكة المتحدة، إلى أن انتقاله من حي الباوزدن- تقطنه نحو ٧ عوائل سعودية- إلى حي الرايدل رود في نيوكاسل، الخالي تقريبا من الجاليات العربية أسهم في فهمه للثقافة البريطانية وانغماسه في المجتمع

الإنجليزي. يقول: «كان الأمر صعبا بالنسبة لي وزوجتي في البداية. فقد كنا مستمتعين بجوار أبناء جلدتنا». لكن تضحية فلاته وعائلته آتت ثمارها. فقد أنجز رسالة الدكتوراه قبل ١١ شهرا من موعدها. وأتقنت زوجته عائشة (٣٠ عاما)، وأبناؤه سلمى (١١ عاما)، وعبدالإله (١٠ سنوات)، وسمية (٥ سنوات) اللغة الإنجليزية في فترة وجيزة. وأضحى فلاته لا يهدر أي فرصة تجمعه مع أي مبتعث جديد ليقول له: «لا تسكن بجوار من يتكلم لغتك الأصلية».

لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لفلاته وأسرته الصغيرة في التكيف مع الحي الجديد الذي نزحوا إليه، وحققوا فيه فيما بعد مكاسب عديدة، فقد عانوا نظرات الريبة والتوجس المبكرة التي حاصرتهم. يقول: «لكن تغلبنا عليها مع مرور الوقت».

يتذكر قاسم أنه كان يساعد جاره البريطاني الكبير في السن على حمل بعض أغراضه الشخصية من وإلى شقته المجاورة، كما كان يبتسم أمام جيرانه في الذهاب والإياب، ويبادر بالتحية ما جعله ينال ثقتهم وتقديرهم.

وأسهمت مبادرات فلاته في اختلاطه وعائلته بالبريطانيين واندماجه معهم بسرعة عكس أقرانه الذين يعيشون عزلة

اختيارية. كما أصبحت زوجته تفتتح الحوارات مع الجيران بعد أن كانت تخشى مواجهتهم. وابنه عبدالإله التحق بأكثر من نشاط لا صفي دلالة على ارتياحه وسروره.

انتقلت أيضا إليه وعائلته ثقافة تبادل البطاقات. فرغم المسافة القصيرة التي تفصله عن جيرانه، إلا أنه يستمتع وأسرته بكتابة الرسائل والبطاقات لهم. وتمتلكهم سعادة بالغة عندما يضعون البطاقات في صناديق جيرانهم البريدية. يقول فلاته: «لا أستطيع أن أصف لك سعادة أسرتي عندما نكتب أو نستقبل بطاقة تهنئة أو رسالة. نفتقد هذه الرسائل بشدة منذ أن عدنا إلى المملكة».

كما دفع هذا المناخ الصحي قاسم إلى المشاركة في إنتاج فيلم «الجسور»، الذي هدف إلى توصيل رسالة مفادها إمكانية التعايش السلمي الإنساني البناء بين الأفراد والمجتمعات بغض النظر عن الدين أو المذهب أو العرق أو اللون. وكذلك شارك في تدريس مادتي «علوم المواد»، و«الميكانيكا»، وعضوية لجنة تقويم أداء قسم الهندسة في جامعة نيوكاسل.

ويأتي حرصي على الكتابة عن تجربة فلاته في هذا التوقيت، التي هداني إليها زميلي وليد الهلال، إثر إعلان وزارة التعليم

العالي أخيراً عن دفعة جديدة من المبتعثين الذين سيتوجهون إلى دول متفرقة قريبا. ما يجعلني أدعو بصوت مسموع إلى ألا يقع هؤلاء في الخطأ نفسه الذي وقع فيه آلاف قبلهم، عندما نزحوا إلى الأسهل وخسروا سنوات مهمة في حياتهم دون أن يستثمروها إيجابيا.

لن أتفاءل وأطمح إلى أن يصبح الجميع مثل الدكتور قاسم، لكن لا أريد أيضا أن يعود إلينا شباب قضوا ست سنوات في لندن أو كاليفورنيا دون أن يستطيعوا كتابة فقرة سليمة باللغة الإنجليزية، كونهم أهدروا أوقاتهم في لعب الورق، والسهر.

نشر في يوم الجمعة ٧ المحرم ١٤٢٨-٢٦ يناير ٢٠٠٧

مجدي وعدو...يطفئ جوالك وجوعك معا!

حينما تفرغ من فيلم وثائقي لمجدي عبد العزيز وعدو، ستصفق ستصفق حتى تتعب! ظللت طويلاً أبحث عنه منذ أول أعماله (على خطى الرسول) حتى (هجرة الحضارة) ممتلئا بسؤال واحد يتعاظم في أعماقي: من أين له هذا؟! إنه موهبة جديرة بالتوقف والتأمل.

ولد مجدي عام ١٩٧٠م في المدينة المنورة. وترعرع في حي المغيسلة الذي يشبه متحفا مفتوحا.

نافذة صغيرة في مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية، الواقعة في منطقة المساجد السبعة جعلته يتعلق مبكرا بالتاريخ. كان معلم الاجتماعيات يشرعها عند الحديث عن غزوة أحد. ويدعو الطلاب بانتظام إلى الاصطفاف أمامها، بمن فيهم مجدي،

لرؤية جبل أحد الذي دارت على سفحه المعركة الشهيرة. يؤمن مجدي بأن تلك النافذة تجعله يفتح رأسه وفمه معا كلما وقف بمحاذاتها، وأنها كانت خلف أول أعماله الوثائقية الذي عرضته شاشة «العربية» وحقق نجاحا واسعا.

ويعزو مجدي الحاصل على البكالوريوس في القانون من جامعة الملك عبد العزيز في جدة عمله في الصحافة بعد تخرجه إلى ولعه بهذه المهنة منذ نعومة أظفاره. فقد كان والده يطعمه وأشقاءه ورقا. يقول: «كان والدي يأتي يوميا إلى المنزل متأبطا كل الصحف السعودية دون استثناء. كنا نلتهمها التهاما. وكان يكافئني وشقيقي ماهر عندما يشاهدنا ونحن نأكلها».

وازداد شغفه بهذه المهنة، عندما حضر أثناء مراهقته مع والده مناسبة خاصة وُجد فيها الزميل الأستاذ جمال خاشقجي، حينما كان يعمل في صحيفة «المدينة». يقول: «خطف جمال الأضواء من الجميع. الكل كان حوله كنمل أمام قطعة سكر.

الجميع يسأله عن مواضيع ومقالات نشرها ونشرتها الصحيفة التي يعمل لها»، وكان مجدي يتابع ما يجري بانبهار وخشوع كبيرين، ما جعله يسأل نفسه: «كيف أصبح مثله؟».

في عام ١٩٩٢م استهل حلمه بانضمامه إلى الشركة السعودية للأبحاث والتسويق. عمل لمدة ٦ سنوات في مطبوعتي الشركة: «الشرق الأوسط» و«الاقتصادية». ثم انتقل للعمل في مكتب صحيفة «الحياة» في جدة من ١٩٩٨م حتى ٢٠٠٢م. ثم عمل محررا للأخبار في مجموعة «MBC» و «العربية» التي كانت تستعد للانطلاق في تلك الفترة.

لم يكن انفصال مجدي عن الإعلام المقروء وارتباطه بالمرئي يسيرا. فقد كان يجد في الصحافة المقروءة «متعة حقيقية»، لكن محاولات رفيقيه تركي الدخيل الذي زامله طويلا في «الحياة» وانتقل قبله لـ «MBC»، وعمر المضواحي آتت أكلها.

يقول: «أنا مدين لهما. فهما اللذان مهدا لي طريق الدخول إلى عالم التلفزيون».

بداية عمله في التلفزيون كانت استكشافاً وانبهاراً، لكن الفرح لم يدم طويلا. غرفة أخبار «العربية» لم ترق له، ما دعاه إلى شد الرحال لمدير الأفلام الوثائقية في مجموعة «MBC»، الزميل فادي إسماعيل وعرض عليه فكرة عمل (على خطى الرسول) الذي وافق عليه على مضض بعد محاولات وجولات عدة.

فوجئ مجدي بالنجاح المدوي لباكورة أعماله. يتذكر عرضه الأول: «كنت أقضي إجازتي في منزلي في جدة في شهر رمضان. وكنت أتوقع فشلا ذريعا له رغم أنني أقف خلفه. لكن فور أن عرض العمل هطلت عليّ التهاني والتبريكات من كل مكان».

وعرض العمل أكثر من ثلاث مرات على شاشة «العربية»، فضلا عن عدد من القنوات العربية الأخرى، مثل: تلفزيون الكويت، وقناة الرسالة، والقناة المغربية الثانية، وغيرها، ما دفعه إلى المضي قدما في تطوير أدواته وإنتاج وكتابة أعمال يتفوق من خلالها على نفسه.

بالفعل، انخرط مجدي في دورات متخصصة عديدة، وحضر ورش عمل مختلفة، وشاهد أفلاما وثائقية غفيرة، ثم بدأ في صناعة أعمال جديدة.

وقد لاقت أعماله العديدة وفي مقدمتها: «الحج أشهر وأيام معلومات»، و«قتل أصحاب الأخدود» و«كن أبا ذر» و«هجرة الحضارم» نجاحا لافتا، جعله رقما مهما في عالم الأفلام الوثائقية العربية بسرعة قياسية، وسيُعرض له وشيكا عمل ضخم بعنوان: «الفتوحات».

ولم يأت هذا النجاح من فراغ، فمجدي لا يسلق، ويعتقد حد الاعتناق أن العمل العظيم يطبخ بتأن، فقد استغرق عمل (هجرة الحضارم) ٢٢ شهراً، كما أنفق سنوات عديدةً في إنتاج أعماله الأخرى.

وسر نجاح وعدو قدرته على العمل الجماعي، فهو كالنجوم لا تبدو وحيدة. لمع مع فريق مدهش يبرز فيه صوت المذيع رياض عاشور، والفنان العراقي الرائع سرمد الموسوي الذي يعزف الخلفية الموسيقية لأفلامه.

يشجع الصحفي الأمريكي السابق في صحيفة شيكاغو سيتي، مارك جونثان هاريس، وصانع الأفلام الوثائقية الشهير، والحائز الأوسكار مرتين، الأفلام الوثائقية التي ينتجها صحفيون سابقون «إنهم يجعلونك تطفئ جوالك، وجوعك خلال مشاهدة أعمالهم. تفاصيلها الصغيرة تسيطر عليّ وتقتادني. إنني منحاز لهم قلبا وعقلا».

وأنحاز لمجدي أيضا إثر وعيه الصحفي الذي يتخلل كل أعماله، وحرفيته التي تسكن أفلامه، وابتسامته التي لا تهجر وجهه وصوته، وإصراره على الوصول إلى حلمه.

ويسحرني كذلك صمته، وحرصه على البقاء في الظل طويلا. فهو يعتقد أنه من الواجب ألا يتكلم ولا يظهر إلا لماما، ويظل يعمل و يتعلم ويتعلم.

نشر في يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩ أغسطس ٢٠٠٨م

محمد الفارس.. عراب الجيوكاشنج

هل شاهدت رجلا يحبو ببطء في قرية مرات، شمال غرب الرياض، يمطر عرقا، ويغرس أصابعه في الرمل؟ لا تهلع، ولا تتصل بالدفاع المدني، فإنه لا يمضي إلى الموت، بل إلى الكنز.

محمد الفارس، شاب سعودي واعد، درس في جامعتي الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، وكلورادو سكول أوف ماينز في أمريكا، لديه هواية مشوقة تعرف بـ «الجيوكاشنج» (Geocaching)، جعلته يطوف أنحاء وطنه والعالم، بحثا عن تاريخ، وكنوز، وأصدقاء، لا يقدرون بثمن.

فكرة الجيوكاشنج، حديثة وبسيطة وممتعة، كما أنها تلائم جميع الأعمار، وهي في الوقت نفسه غير مكلفة، تحتاج فقط

إلى جهاز GPS، سعره تقريبا مثل سعر الهاتف الجوال، وتصفح للإنترنت.

يقوم أحدهم بإخفاء شيء ما (عادة يتخذ شكل علبة صغيرة تحوي قلماً وورقة وربما هدية رمزية) في مكان ما، (يفضل أن يكون هذا المكان يستحق الزيارة)، ثم يقوم بعدها اللاعب بتسجيل إحداثيات المكان (خط الطول والعرض)، ووضعها على الإنترنت ليطلع عليها الآخرون، ثم يبدؤون عملية البحث عن تلك العلبة أو الكنز المخبأ، عندما تجد الكنز تسجل أي ملاحظة في الورقة الموجودة مع الكنز، وتأخذ الهدية الموجودة إذا أردت، على أن تضع شيئا رمزيا بدلا مما أخذته.

بدأت الفكرة بكنز واحد في أمريكا منتصف عام ٢٠٠٠م، واليوم يوجد هناك ٣١٨ ألف كنز تقريبا مخبأة في ٢٢٢ بلدا حول العالم، نصيبنا منها في السعودية ١٣٠ (حتى تاريخ كتابة هذه الأسطر)، حسب محمد الفارس. هناك أشكال متعددة يمكن أن يتخذها الكنز، فمثلا هناك الكنز المتعدد (multi cache) فبدلا من إعطاء إحداثية لكنز واحد، يمكن أن تكون الإحداثية المعطاة على الإنترنت بداية لسلسلة من الإحداثيات تؤدي في النهاية إلى الكنز. كما أن هناك الكنز اللغز(mystery cache)؛ حيث يتطلب الوصول إلى الكنز حل لغز ما، بعد الحصول على

الإحداثية وهكذا. وباختصار هي رياضة يكون فيها اللاعب ماكينة البحث (The sport where you are the search engine).

هناك إمكانات غير محدودة لهذه اللعبة وهي قابلة للنمو والاستخدام بشكل مذهل في مجالات متعددة مثل التعليم والآثار والمحافظة على البيئة (Cache in - Trash out) وفي ترويج السياحة والسفر. فقد وجد محمد الفارس كما خبأ كنوزا في سيريلانكا، جزر المالديف، بوكيت وشانجماي بتايلند والبحرين والإمارات وقطر فضلا عن السعودية. ويذكر محمد أنه عندما خبأ أحد الكنوز في معلم سياحي مشهور في سيريلانكا لاحظ من سجلات المشاركين الذين وجدوا الكنز أنهم قدموا من شمال أوروبا، وبعضهم زار المنطقة أكثر من مرة، ما يعكس الأثر الإيجابي لهذه الهواية على السياحة في دول العالم. يبرر الفارس إيمانه وحماسته لهذه الهواية قائلاً: «أعتقد أن الإحساس بالمغامرة عند البحث وجمع المعلومات حول موقع الكنز والنشوة المصاحبة للملاحة قبيل الوصول له هو ما يميز هذه الرياضة».

ويأسف محمد كونه السعودي الوحيد (مع قريبه) اللذين يمارسان هذه الهواية في السعودية؛ حيث إن الآخرين الذين يشترك معهم في هذه اللعبة، هم من الأجانب الغربيين الذين يعيشون في المملكة. قبل أن يغادر الفارس بحثا عن كنز جديد،

قال مودعا: «قد تدهش حين تعرف أنني تعرفت على كثير من الأماكن الجميلة في بلادي عن طريق هؤلاء الأجانب الذين خبؤوا تلك الكنوز في ثنايا الوطن، ربما أن هذه الهواية تمنحهم الشعور بالأمان، وتتيح لهم الانطلاق والحرية لملامسة الطبيعة في صورتها النقية عندما يخفق المجتمع في التواصل معهم بسلام».

نشر في يوم الجمعة ٧ المحرم١٤٢٨-٢٦ يناير٢٠٠٧

محمد القشعمي..حارس التاريخ

محمد عبدالرزاق القشعمي (٦٢ عاما)، مثل الصمغ إذا اقتربت منه ستعلق به.

وأنا علقت بهذا الرجل في سن مبكرة، عندما كنت في السابعة، حينما كان يزور والدي في الأحساء. فلا يأتي عمي محمد خاليا. كان يجيء ممتلئا. في يده اليمنى سكاكر لي ولشقيقي، وفي عينيه سعادة يضخها في أنحاء منزلنا وعلى لوحات والدي.

نعلم أنه سيأتي عندما نرى والدي مرتبكا. يركض في أرجاء المنزل بلا بوصلة، يسافر من غرفة إلى غرفة، كأنه يبحث عن ابتسامة فقدها.

«أبو يعرب» له فضل كبير على والدي بعد الله سبحانه وتعالى. فقد أخرجه من عزلته، وتوحده مع لوحاته، إلى النور. عندما شجعه على المشاركة في المعارض التشكيلية والثقافية المختلفة أثناء عمله مديرا لمكتب رعاية الشباب في الأحساء.

لم يكن والدي الوحيد الذي زرع عمي محمد السعادة في صدره، بل هناك مئات ممن حرث حقول أحلامهم وغرس السعادة في أحشائهم.

(ترحال الطائر النبيل)، هذه البيبليوغلرافيا النبيلة التي كتبها عن الروائي الخلاق، عبدالرحمن منيف عندما بلغ السبعين، عمل عظيم وجدير بالتقدير. يقول لي «أبو يعرب» بعد أن غرق وجهه في الدموع «كنت أريد أن أكتب عنه في حياته. كنت أسهر حتى الفجر لأنجز المشروع. كانت عيني تؤلمني، وخشيت أن أصاب بالعمى دون أن أكمل ما بدأته».

القشعمي لا يجيد الرثاء بقدر إجادته للوفاء. (الأحياء منهم قبل الأموات)، شعاره الذي يُسخر ويكرس من أجله أصابعه ورئته. فهو لا ينتظر أن يموت أديبا أو كاتبا أو صحفيا حتى يتصدى لتكريمه، كان يكتب ويغني للافتين وهم أحياء يرزقون.

أعد ٣٥١ صفحة دسمة عن الرائد، عبدالكريم الجهيمان في توثيق لا يجيده سوى حارس التاريخ، محمد القشعمي.

من يتصفح إنتاجه الغزير فسيعتقد أنه بدأ رحلة الكتابة في وقت مبكر، لكن الحقيقة غير ذلك، فهو بدأ علاقته مع التأليف قبل أقل من عقدين. يقول «لم أعلم أنني قد أبدع في شيء إلا متأخراً».

عندما قرأت مطلع الشهر الجاري عن نية وزارة الثقافة والإعلام تكريم رواد الصحافة في السعودية على هامش معرض الكتاب، جزمت بأن «أبو يعرب» خلف هذا المشروع، وعندما واجهته بتكهني، هز رأسه، مبتسما.

أسعدني أنه يعكف حاليا على كتابين، أولهما عن وكلاء وممثلي الملك عبدالعزيز في الخارج، والآخر عن بدايات المطالبة بتعليم المرأة في المملكة.

وتذكرت وأنا أصغي إلى «أبو يعرب» وهو يتحدث عن كتابيه المرتقبين ما كتبه شاعرنا المائي، محمد العلي في ذيل مقدمة كتاب القشعمي (الفكر والرقيب): «شكرا «أبو يعرب» على هذا الإصدار.. وزدنا من مفاجآتك».

تجربة «أبو يعرب» تجسد رحلة كفاح مضنية وممتعة. بدأ مأمورا للأرشيف في إدارة رعاية الشباب في وزارة الشؤون

الاجتماعية والعمل عام ١٩٦٢، ومازال يركض في حقول الثقافة والأدب دون كلل معتمرا طموحا لا يتقاعس، وقلبا لا يضمر إلا الحب.

أدعو الله - عز وجل - أن يحفظه لنا حارسا للتاريخ، وسادنا للكلمة، بارا بالحرف، وصديقا للتوثيق، وحليفا للتوفيق.

صليتُ لله شكراً عندما تحققت أمنيتي والتقيته في معرض الكتاب في الرياض قبل يومين، فهو لا يستكين. ولا يملك هاتفاً جوالاً. ابتهجتُ، عندما رأيته مرتديا ثوبا بلون الحليب، وابتسامة لم تتغير منذ ٢٢ عاما، ولكنني حزنت لأنني لم أقبل جبينه.

الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ١٤ مارس ٢٠٠٨م

منار الصغير..هل يطير؟!

«أرجوك، لا تدفعني. أستطيع أن أتحرك بمفردي». جملة ترتطم بأي شخص يحاول أن يدفع الكرسي المتحرك للشاب منار منير الصغير (٢٣ عاما). لا يقبل منار أي نظرة شفقة، وأي مساعدة. فهو قادر على فعل كل شيء وحده. كل شيء.

عندما تذهب إلى جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، التي سيتخرج فيها الصيف المقبل، ستجده في كل مكان. في مختبرات الكمبيوتر. وفي الصالة الرياضية. وفي عمادة شؤون الطلاب. سيخامرك شعور عندما تشاهده في كل تلك الأماكن في أوقات متقاربة، إنه يركب طائرة تحمله على متنها من مكان إلى آخر. لكن في الحقيقة أنه لا يركب سوى طموحه الذي يجعله يطير!

وأكثر ما يلفتك في منار سعادته التي تكسو وجهه، وابتسامته التي لا تخلو منها ملامحه الوادعة هذه البهجة التي تجعلني أشك أنه يبتلع شارلي شابلن في جوفه أو دريد لحام على أقل تقدير. فهو في فرح لا ينقطع، تعبر عنه أطرافه، وعيناه، وقمصانه الأنيقة ذات الأكمام القصيرة، وتفوقه الدراسي.

من يشاهد منار على الكرسي سيعتقد أنه ولد عليه من فرط انسجامهما وتآلفهما معاً. لكن الواقع خلاف ذلك تماما. فمنار لم يجلس على الكرسي إلا قبل ٦ سنوات فقط. وتحديدا في ٢٠ يوليو عام ٢٠٠٢م عندما أجرى عملية جراحية في عموده الفقري في مستشفى (برنسيس جريس) في لندن.

فقبل إجرائه العملية لم يكن يعاني سوى انحناءة طفيفة في كتفه اليمنى، وبعد العملية أصبح يعاني مشكلة في حبله الشوكي. قبل العملية كان يمشي على قدميه. وبعد العملية صار يمشي بيديه على كرسي متحرك.

استقبل منار نبأ شلله بإيمان واحتساب كبيرين، أسهم في صمود والديه وعدم انهيارهما. رباطة الجأش التي تحلى بها انعكست على معنويات أسرته.

يقول منار: «كان أمامي خياران، أن أنكفئ وأموت، أو أمضي وأعيش». اختار أن يعيش. مضى في علاج طبيعي شاق. فبدأ يتحسن بصورة تدريجية، لكن لا فرار من الكرسي.

بعد أن قضى ٣ أشهر في بريطانيا امتلأت فيها معدته بالأدوية والمسكنات، عاد إلى المملكة جائعا، تواقا لرؤية شقيقاته الثلاث ندى (١٨ عاما)، وزينب (١٣ عاما)، وعلياء (١١ عاما). سعادته بلقائهن أنسته كل الأيام الصعبة التي تجرعها في لندن، وفتحت شهيته للدراسة والنجاح.

بعد أقل من عام من عودته من بريطانيا استأنف دراسة الثانوية العامة في مدرسته التي غادرها: مدرسة تاروت الثانوية.

لم يكن الأمر سهلا أن يعود إلى مدرسته. فمدرسته شأنها شأن السواد الأعظم من مدارسنا، لم تألف الكراسي المتحركة، ما دفع والده إلى التكفل بتمهيد وتعبيد ممرات المدرسة وأزقتها من جيبه الخاص لتستطيع أن تستقبل ابنه منار وكرسيه.

عاد منار إلى مقاعد الدراسة وكله إصرار على أن يتفوق وألا يخذل أبويه. كان يذاكر وهو يحمل حلمهما في رأسه. حلمهما بدخول جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ومتابعة دراسته العليا.

كان يتحامل على آلامه في سبيل حلمهما. كان يدرك أنه فقد قدميه، لكن لم يفقد عقله وطموحه.

وبالفعل، نجح منار بتفوق في الثانوية العامة أذهل القاصي والداني، ودخل الجامعة التي يبتغيها، والتخصص الذي ينشده. وضرب مثالا ولا أروع في الصبر والتغلب على الإحباط، واليأس.

سيتخرج منار في الجامعة بعد شهور قليلة، وسيتابع دراسته العليا، ليثبت أن الإعاقة ليست في الأجساد بل في العقول.

تذكروا اسم منار جيداً. فهذا الفتى لن يتوقف عن حصد الإعجاب، وخطف الألباب بجسارته وشجاعته وذكائه.

تحية لوالديه اللذين لم يدفعا كرسيه، لكن دفعا أحلامه وطموحاته، ولم يخبئاه كما يفعل نحو ٧٢٠ ألف أب في المملكة يخجلون من ظهور أبنائهم المعاقين.

نشر في يوم الجمعة ١٩ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠٠٨م

هاني الغفيلي.. أبو البراهين!

تربطني بهاني إبراهيم الغفيلي (٣١ عاما) علاقة حب من طرف واحد. حب يتعاظم كلما زرت موقعا أسسه أو طوره. لم يكن موقعا أو اثنين أو ثلاثة. الكثير من المواقع. والقاسم المشترك بينها هو نجاحها الهائل. ابتداء بعالم حواء والزعيم وباب، مرورا بموقع إمارة منطقة الرياض وجامعة الملك سعود، وليس انتهاء بموقع صحيفة الرياض الإلكتروني.

بدأ شغف هاني التقني مبكرا عندما تلقى من أبيه كمبيوتر (صخر) هدية انتقاله بتفوق من الصف الرابع إلى الخامس. كان يحتوي الكمبيوتر، وقتئذ، على خمسة تطبيقات رئيسة تتمثل في برنامج الرسم، وبرنامج التحرير والكتابة والتقويم، ونظام البرمجة بلغة بيسك. لم ترق له الهدية كثيرا كونها خالية

من الألعاب المسلية. لكن الفضول قاده إلى سبر أغوار تلك التطبيقات. وكان يستعين بالكتيب التعليمي المرفق لتنفيذ بعض الأوامر الموسيقية والحسابية في نظام بيسك. وقد أبهرته تلك البرامج والتطبيقات والنتائج وجعلته يرتبط عاطفيا بالكمبيوتر. فقد كان يقضي ساعات طويلة أمام الشاشة الزرقاء لبرمجة لعبة أو القيام بعملية حسابية. يذهب إلى المدرسة جسدا وعقله باق في المنزل غارق في محيط الشاشة وأمواجها المتلاطمة.

كان أقرانه ينشغلون بالمباريات والدراجات وهو مشغول بلغة بيسك. في المرحلة المتوسطة ازداد شغفه بالكمبيوتر والرياضيات. وفي المرحلة الثانوية وقع في غرام الكيمياء والفيزياء.

وبعد تسلمه وثيقة التخرج من المرحلة الثانوية اتجه مباشرة إلى كلية الحاسب الآلي في جامعة الملك سعود في الرياض، على الرغم من حرص والده على أن يدرس طب الأسنان.

وقد كان الغفيلي يمكث في معامل الحاسب الآلي طويلا من أجل تجربة أجهزة الماكنتوش والبرايم وأنظمة اليونكس وغيرها. بعد مرور ستة أشهر على انضمامه إلى الكلية شارك في تجهيز موقع خاص لكلية الحاسب الآلي وربطه بالشبكة المحلية بالتعاون مع المعيد جلال المهتدي، الذي حصل على

درجة الدكتوراه أخيراً، والذي يعده هاني من أذكى الأشخاص الذين التقاهم.

وقد كان هاني يعشق البرمجة بما فيها من تحليل وتفكير وابتكار وتنفيذ وإخراج. يفكر كثيرا في حل البراهين والإثباتات، ودخل في سجالات طويلة مع بعض أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لإثبات صحة كلامه. وغالبا ما ينتصر في النهاية. وإزاء ذلك أطلق عليه رفيقه في السكن لقب «أبو براهين» بدلا من كنيته «أبو إبراهيم».

وقد كانت شبكة الإنترنت، وقتئذ، تشكل لهاني عالما غامضا ومبهرا. ولا ينكر أنه حاول مرارا الدخول إليها من خلال شبكة الاتصال في البحرين، قبل دخول الإنترنت في السعودية، ما جعله يتلقى علقة ساخنة إثر فاتورة باهظة الثمن!

وبالتزامن مع نشاطه في الجامعة ودخول الإنترنت للمملكة كان يسهم في تأسيس وبرمجة المواقع. وكان موقع كوكتيل أول موقع يؤسسه على الإنترنت.

ويعزو اختياره لهذا الاسم لعدم وجود هدف معين للموقع، وربما تأثرا ببرنامج المذيع اللبناني ميشال قزي، الذي كان يقدمه على شاشة المستقبل، حينذاك.

وفي عام ١٩٩٨ عرض أحد المجهولين على هاني، في برنامج (مايكروسوفت تشات)، مساعدته على تطوير موقع إلكتروني يعنى بالطبخ بعنوان (عالم حواء).

ورغم أن الموقع الذي رآه هاني كان فقيرا في محتواه وتصميمه، إلا أن الفكرة نالت استحسانه؛ لأنه سيسهم عبرها في رسم الابتسامة على شفاه أمه المولعة بالأصناف الجديدة في إعداد الطعام. وقد كانت نواة الموقع مقادير الأطباق المدونة في دفترها. وقد شرع هاني في بناء الموقع من الصفر وحده إثر اختفاء صاحبه فجأة، متسلحا بخبرته التقنية والتصميمية.

لاحقاً تلقى هاني رسالة من شخص يدعى مروان الصاعدي، يشير من خلالها إلى أنه هو ذلك المجهول الذي التقاه في التشات. وبرر له غيابه القسري، وأنه يتابع دراسته في كندا، ولديه خبرة كافية في التعامل مع شبكة الإنترنت، وسيسعده لو واصلا مشروعهما معا. ورحب هاني بذلك وانطلقا معاً.

وقد تجاوز عدد مرتادي الموقع خلال أسبوع أكثر من خمسة آلاف زائرة. فاق هذا العدد طموحهما، ما دعاهما إلى مواصلة العمل في تطوير الموقع وتزويده بالخدمات التفاعلية، مثل إضافة الأطباق الفورية، وسجل الزائرات، فتضاعف العدد أكثر وأكثر، وانتشر الموقع سريعا بين المتصفحين العرب.

ولم يخف هاني تندر وتهكم الكثيرين كون أن شابين يديران موقعا نسائيا صرفا. لكن إيمانهما بالفكرة وفعاليتها جعلاهما يمضيان إلى الأمام دون اكتراث بما يسمعانه.

ومع مرور الأيام، ثبت الموقع أقدامه بين أكبر المواقع العربية وأكثرها انتشارا، وأصبح للموقع البسيط منتدى يضاهي باقي المنتديات المشهورة، آنذاك، بتقنية نظام يو بي بي.

وقد تطور الموقع شيئا فشيئا وتحول إلى شبكة نسائية ضخمة، احتلت مراتب متقدمة في قوائم أكثر المواقع العربية زيارة. ولم يكن (عالم حواء) الموقع الوحيد الذي يؤسسه هاني ويحصد هذا النجاح.

فقد نال موقع شبكة الزعيم نصيبا وافرا من الانتشار حتى اللحظة رغم صعوبات البدايات.

ونجاح هاني لم يقتصر على المواقع الإلكترونية الترفيهية، فقد أسهم خلال عمله القصير مع إمارة الرياض في تشغيل المعاملات عن طريق الموقع الإلكتروني وخدمة الجوال، التي لقيت استحسانا كبيرا من قبل المراجعين.

كما صمم برنامجا للقراءة عبر الهواتف الكفية باسم «مفازا»، متيمنا بالآية الكريمة: «إن للمتقين مفازا». إن نجاح هاني لم يتوقف. فمازال في أوج حلمه.

إنه شخص جدير بالاحتفاء والتقدير. وكما قال الكاتب البرازيلي فرناندو سابينو «نعيش بسعادة بمعية الإنترنت، لكن ننسى دائما أن نشكر الأصابع التي تكاتفت لتهبنا هذا الفرح».

شكرا هاني، شكرا لأصابعك.

نشر في يوم السبت ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٠. ١٤ نوفمبر ٢٠٠٩

هادي الفقيه... شجرة المانغروف

هادي حسن الفقيه وشجرة المانغروف شقيقان، ولدا في البحر، وسخرا أغصانهما لغيرهما.

هادي المولود في القنفذة، على ضفاف البحر الأحمر، نذر أصابعه منذ نعومة أظفاره للكتابة، فأمسى يراعه بيتا للحرف، أما المانغروف فزرع سيقانه في أعماق المياه المالحة ليصبح منزلا للأسماك المشردة.

يلهث رئيس تحرير صحيفة «لا ستامبا» الإيطالية، جيوليو إنسلمي وراء الصحفيين الذين تدفقوا من البحر مبررا «يأتون طازجين غير مؤدلجين، متحممين بالمياه وغير ملوثين بالمدينة».

هادي الرطب بالحماسة، والحافل بالموهبة، يرجع لغته الصحفية السلسة وعلاقته الوطيدة بالحرف إلى دور والده في تنميته.

كان يحمله على كتفه ويذهبان معا إلى أي أمسية ثقافية أو خطابية في الجوار.

كان يغرسه داخل مكتبته يمزق الكتب تارة، ويرسم على جدران المكتبة وأرفف الكتب بالطباشير وبالأقلام تارة أخرى دون أن يعنفه أو ينهره، بل كان يلتفت نحوه ويبتسم.

كان والده يكافئه عندما يقرأ أي صفحة، وتتضاعف المكافأة عندما يكتب صفحة. قبل أن يكمل التاسعة، فاجأه والده بأنه أرسل الموضوع الذي كتبه عن القنفذة إلى إحدى مجلات الأطفال.

كاد هادي يطير من فرط الفرح بعد أن قرأ موضوعه منشورا وممهورا باسمه. اشترى كل نسخ مجلة ماجد للأطفال التي نشرت المقال في البقالات المجاورة وغير المجاورة. نام تلك الليلة وهو يكتب موضوعه الثاني. منذ ذلك الحين ظل هادي يكتب ويكتب لصفحات القراء. في عام ١٩٩٩ التحق بكلية المعلمين في القنفذة متخصصا في التربية الفنية، استجابة

لرغبة والده الذي كان يريده معلما وليس إعلاميا أو مترجما كما يشتهي.

ظل هادي حزينا حتى شهر مايو عام ٢٠٠٠م عندما انتقل من صفحات القراء إلى صفحات المحليات مراسلا متعاونا لصحيفة الاقتصادية.

حصل على وثيقة التخرج منتصف ٢٠٠٤م. انتظر اسمه مع قائمة المعلمين المعينين. فرح كثيرا لأنه لم يجده وسطهم ليمارس الصحافة هواية وتفرغا، لكن أمه بكت حتى أحس أن الأرض ستغرق وسط دموعها. وبعدها بأيام قليلة حملت الصحف المحلية نبأ تعيينه في مدرسة الوديعة الابتدائية على الخط الحدودي في الربع الخالي بين السعودية واليمن، فكفكف دموع أمه ويمم وجهه شطر الصحراء في رحلة تحدٍّ جديدة.

وكلما داهمه الحزن هناك كان يُذكر نفسه بأن الرحالة والمستشرقين كانوا يضربون أكباد الإبل في سبيل سبر أغوار هذه الرمال المفخخة بالقصص «فلمَ لا أتعظ وأعتبر».

كتب هادي قصصا إنسانية مبتكرة من هناك، وحشدنا حول حرفه.

واصل تألقه وإبداعه من خلال القصص التي يقدمها بهدوء.

في موسم حج ١٤٢٦هـ حاز جائزة أفضل عمل صحفي إنساني، مؤكدا أن المهنية تنتصر ولو بعد حين.

انتقل هادي إلى الرياض وانتقلت قصصه الصحفية الإنسانية إلى الشاشة من خلال برنامج «مشهد»، الذي أذاعته قناة الإخبارية. وقد تحول الحلم إلى واقع عندما التقى أثناء إحدى زياراته لملتقى إعلاميي الرياض في عطلة نهاية الأسبوع بالمخرج فيصل العتيبي وتناقشا في موضوع تحويل القصص الصحفية من الصحافة المطبوعة إلى الصحافة التلفزيونية. حملا هذه الفكرة بعد أن اتفقا على خطوطها العريضة إلى مدير قناة الإخبارية محمد التونسي الذي «شرع أبواب قلبه والقناة لها».

نجح البرنامج وحقق أصداء واسعة. يقول هادي: «لم أكن وفيصل وحدنا في هذا المشروع. فكان خلفه أيضا شابان رائعان هما خالد أبو شيبة، ومبارك العصيمي».

وبعد «مشهد» طلب منه خالد المطرفي الانضمام إلى فريق قناة العربية في بعثة حج ١٤٢٨ منتجاً، وفي ليلة عيد الأضحى نظر إليه وقال «هادي استعد... أنت ستكون على الهواء على

نشرة الواحدة صباحاً». فأضحى العيد عيدين بالنسبة له، وصار مراسلا لقناة العربية.

لم يكن مشوار هادي الصحفي مفروشاً بالأزهار، يقول «بكيت كثيرا، ومزقوا أمامي مواضيعي كثيرا»، لكنه لم يقنط أو يتقهقر.

هادي، الذي يعمل رسميا مديرا للشؤون الإعلامية في مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله للموهبة والإبداع، ومحررا متعاونا مع صحيفة الحياة، ومراسلا تلفزيونيا للعربية يبلغ وزنه ١٧٥ كجم، لكنه يتحرك كريشة، يركض كغزال. تجده حولك ومعك بمعية طموحه وخفة ظله وبياضه.

يتذكر المرة الأولى التي خرج فيها للتنزه مع زوجته على كورنيش جدة «استلت إحداهن هاتفها الجوال. وصوبت عدسة كاميرتها نحونا لتصوير (الجميلة والوحش)». وأكثر موقف أوجع هادي موقف امرأة في إحدى حدائق الرياض العامة حينما كانت تقرأ القرآن، وتركته لتضع يدها على رأسها وتنظر إلى هذا التناقض العجيب بينه وبين زوجته من وجهة نظرها.

وحاول هادي أن يسلم جسده لمبضع الجراح ليخفف من وزنه، إلا أن مستشفى التخصصي في الرياض خذلته بعد أن

سلمته ورقة تعليمات ما قبل العملية بعد عام كامل من المواعيد والفحوص. فقد أبلغته الممرضة في اللحظة الأخيرة أن طبيب التخدير طلب سريراً في العناية المركزة، ولا يوجد سرير، وعليه العودة إلى قوائم الانتظار مجدداً.

نشر في يوم الجمعة ١١ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ مايو ٢٠٠٨م

السيرة الذاتية

عبدالله بن أحمد بن عبدالله المغلوث

- مواليد ١٩٧٨م.
- بكالوريوس في التسويق والإعلام من جامعة ويبر ستيت، ولاية يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية.
- ماجستير في تقنية المعلومات والإدارة من جامعة كلورادو، ولاية كولورادو، الولايات المتحدة الأمريكية.
- يدرس الدكتوراه في الإعلام الإلكتروني في جامعة سالفورد في بريطانيا منذ سبتمبر ٢٠٠٩م.
- حصل على جائزة صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان للتفوق العلمي عام ٢٠٠٣م .

- يكتب كل سبت في جريدة الوطن السعودية.
- رئيس اللجنة الإعلامية لقمة أويك الثالثة في الرياض، نوفمبر ٢٠٠٧ م.
- رئيس اللجنة الإعلامية لاجتماع جدة للطاقة، يونيو ٢٠٠٨م.
- رئيس العلاقات الإعلامية في أرامكو السعودية عام ٢٠٠٦م، ٢٠٠٧م.
- أعير للعمل في الشؤون الخارجية في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست) في يناير إلى ديسمبر عام ٢٠٠٨م.
- عمل في صحف ومجلات عربية وسعودية عدة مثل: اليوم، والحياة، والوطن، وإيلاف، والقافلة، وفوربز، وترحال.
- صدر له عن دار العبيكان كتاب: (أرامكويون...من نهر الهان إلى سهول لومبارديا).

إيميل المؤلف:

ALMAGHLOOTH@GMAIL.COM





لماذا هذا الكتاب؟

قررت جمع هذه السطور بين دفتي كتاب بعد أن شعرت بحاجتنا الماسة إلى قصص نجاح محفزة وملهمة، إلى أمثلة معاصرة نقتفي أثرها؛ فمن يتصفح رفوف مكتباتنا العربية سيجد الكثير من قصص النجاح المستوردة، التي نبتت في بيئة غير بيئتنا، وفي محيط غير محيطنا؛ مما يقلل من حجم تأثيرها وفاعليتها؛ فرأيت أن أضع هذه الوجوه السعودية المتميزة بين أيديكم، لعلها تسهم ولو بقدر طفيف في شحذ الهمم وتعزيز الثقة في دواخلنا؛ فالناجحون الذين قطفتهم من أنحاء وطننا الغالي لم يترعرعوا في بوسطن الأمريكية أو طوكيو اليابانية أو أمستردام الهولندية، بل نشؤوا في المملكة، وحققوا نجاحات مختلفة ومتفاوتة، درسوا في فصولنا نفسها، وعاشوا في منازل تشبه منازلنا.

على الصعيد الشخصي تأثرت بالكثير ممن التقيت بهم وكتبت عنهم في هذا الكتاب:

كأم عبدالهادي المري، الفرّاشة في الابتدائية الرابعة عشرة بالجبيل، التي تدرس حالياً في كلية التربية بالخفجي وهي في الستين من عمرها، والتي كانت تكنس الفصول بيد وتكنس جهلها باليد الأخرى، مواصلة تعليمها في ظروف صعبة ووسط مليء بالمشكلات؛ معها ابن وابنة تعتني بتربيتهما وشؤونهما.

تأثرت جداً بكفاح صديقي **سنوي شراحيلي**، من ذوي الاحتياجات الخاصة، الذي كان يذهب لمدرسته في قرية الخقاقة التابعة لمحافظة الحرث بمنطقة جازان، والتي تبعد عن منزله نحو كيلو متر ونصف حبواً، لعدم قدرة والده على توفير كرسي متحرك له وقتئذ، بينما الآن يركض نحو تحقيق حلمه بالحصول على درجة الدكتوراه في إدارة المنازعات الدولية في بريطانيا.

أدهشني **بتال القوس** الذي استطاع أن يحفر الصخر ليصبح أحد أكثر المذيعين السعوديين أجراً جراء كفاحه وموهبته.

ISBN:978-603-503-107-3


موضوع الكتاب: رجال الأعمال - السعودية

موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com